ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1075 - الجمعة 14 جمادى الأولى 1425 هـ - الموافق 2 يوليوز 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

حكم استثمار أموال الزكاة

العلم الإلهي الأول : علم الساعة

قضايا مطروحة عند خطباء الجمعة

مكانة الموطأ في الدراسات الحديثية بالمغرب

حـــوادث الســيـــر

تقييد في متولي القضاء والفتوى والشهادة

أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس رجل الحوار والسلم والدفاع عن حقوق الإنسانية

إن جلالة الملك محمد السادس تربى في مدرسة والده جلالة المغفور له الحسن الثاني أحسن تربية، تلك المدرسة التي تلقن العلم النافع والوطنية الصادقة، فجلالته وارث سر والده العظيم خير خلف لخير سلف. فبعد أن تخرج من المؤسسات العلمية ونال الشهادات العليا ومارس المسؤولية عن جدارة في حياة والده المنعم ونال إعجاب العالم بحنكته وتبصره وبعد نظره وعلاجه للأمور المستعصية بحكمة ورزانة وفكر ديموقراطي قل نظيره، اعتلى عرش أسلافه المنعمين بعد وفاة والده المنعم الحسن الثاني رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنة الخلد مأواه. فصار عهد جلالته الميمون عهد يمن وبركة وخير ونماء وتكريس لدولة الحق والقانون، يدافع حفظه الله عن حقوق المضطهدين ويأخذ بيد الضعفاء والمساكين ويسهر على أن تكون هذه الأمة متحلية في سلوكها وحياتها اليومية بالمشروعية والقانون.

كما يريد لها جلالته أن تكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ويدعوها إلى التزام طريق الوسطية والاعتدال في علاجها لمستجدات العصر دونما تعصب أو تطرف أو إرهاب.

فجلالة الملك محمد السادس علم من أعلام القرن البارزين الذين ينظرون إلى الإنسانية بعين الرحمة ويعملون من أجل تآلفها واتحادها وتآخيها في إطار احترام البعض للبعض... فهو حفظه الله يناهض الظلم وأشكاله...، ويساند الحق وأصحابه.

يكرس جهده من أجل تحرير فلسطين واستقلالها وإبعاد شبح الحرب والاضطهاد عنها، ويعمل بكل الوسائل المتاحة أن تقوم القدس بدورها الديني والإنساني وأن تبقى تلك المنطقة محترمة ومقدسة عند الجميع تعيش في تلك البقعة الأديان السماوية ومعتنقوها بسلام وحرية واحترام، وتقوم دولة فلسطين وعاصمتها القدس تؤدي دورها الإنساني والديني والاجتماعي مع جيرانها بمحبة ووئام وتعاون وانسجام في جو كله بناء وتضافر جهود من أجل الرفع بمستوى الإنسان واحترام حقوقه ومعتقده في إطار المنهج الرباني الذي يدعو له الكتاب وتأمر به السنة النبوية المطهرة...

إن أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس رجل حوار وسلم وإنسانية بكل ما في هذه الكلمات من المعاني السامية والمغازي الهادفة لبناء الأمم وازدهارها...

إن تطلعاته العظيمة إلى نشر العلم ومحاربة الجهل والفقر كفيلة بتقدم أمته وازدهارها، كما يسعى دام عزه وعلاه إلى تطهير المجتمع البشري من الظلم والإرهاب والاعتداء على حقوق الغير، إذ في عهده الزاهي اطمأنت الأسر على رعاية مستقبلها وعم الإنصاف من مسه حيف في طريق حياته. ولرحلات جلالته الميمونة أكبر فائدة على أمته والشعوب التي زار ملوكها ورؤساءها، وإن جولته في دول إفريقيا الصديقة كان لها أكبر الأثر في النفوس، فزادت الروابط التاريخية التي تجمع المملكة المغربية بدول إفريقيا قوة، ودفعت بالعلاقات المتميزة بيننا وبين تلك الدول التي زارها دام عزه وعلاه إلى الأمام...

وإن الاحتفاءات المنقطعة النظير التي عبر عنها رؤساء وشعوب الدول التي زارها أمير المؤمنين وما أسفر عن هاته الجولة المباركة من اتفاقيات تخدم صالح تلك الدول والمملكة المغربية وتسعى إلى إشاعة المحبة والسلم في العالم، كل ذلك أدخل فرحة وسرورا كاملين علينا جميعا لكون هذا التواصل بخدم السلم والأمن والتقدم الاقتصادي والاجتماعي للأسرة الإفريقية، تلك الأسرة التي تحظى بعطف أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس واهتمامه.

وإن ما عبر عنه مشايخ الطرق الصوفية بصفة عامة وعلماء الدين من شتى دول إفريقيا في حق سليل الدوحة النبوية من تنويه ووفاء للعرش العلوي المجيد ولشخص جلالة الملك محمد السادس لهو برهان ساطع على عمق الوشائج التاريخية التي تجمع بين المملكة المغربية والدول الإفريقية شعوبا وحكاما...

ولا غرابة في هذا التلاحم العضوي بيننا وبين دول إفريقيا الحبيبة والذي قواه ومتن أواصره من جديد أمير المومنين دام عزه وعلاه بزيارته الميمونة إلى تلك الدول الشقيقة اقتداء بما فعله جده ووالده المنعمين.

فمدرسته الحسنية تدعو لإسعاد البشرية بصفة عامة (الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله).

نسأل الله جلت قدرته أن يحفظه ويرعاه ويزيد في تمكينه وعلو قدره، وأن يحقق له ما يصبو إليه من نشر السلم وإبعاد شبح الحرب عن البشرية، وأن يديمه لنا الحصن الحصين والركن الركين، وأن يمده بعون منه، ويقر عينه بولي عهده سمو الأمير الجليل مولاي الحسن، وبصنوه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد وبجميع الأمراء والأميرات، وأن يريه في شعبه المغربي وأمته الإسلامية بل والبشرية بصفة عامة ما يسره ويحقق مبتغاه، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل القضائي في الإسلام

-16-

نتابع في هذا العدد وقفتنا القصيرة مع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطط ويرسم معالم العدل القضائي للصحابي الجليل أبي موسى الأشعري عند تعيينه قاضيا، بل إنه رسم معالم العدل لجمع القضاة ولكل من يعمل في ميدان الفصل في الخصومات سواء في المجتمع الإسلامي أو في المجتمع الإنساني في أي مكان كان، لأن العدل وإحقاق الحق ورفع الظلم أصل إنساني أقرته جميع الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل ومبدأ لايخالفه إلا ظالم بقصد أو دونه، ولهذا فالتوجيه العمري لأبي موسى الأشعري هو توجيه لكل إنسان قدر له أن يجلس على كرسي القضاء للفصل في خصومة كيفما كان نوعها.

والتوجيه الذي وقفنا عنده في العدد الماضي يخص العثور على نصوص قاطعة لم تصل إلى علم القاضي واكتشفها بعد الحكم أو الاهتداء إلى رأي وتأويل واجتهاد جديد تبين له أنه هو الصواب وهو ما كان يجب الاعتماد عليه والحكم بمقتضاه، وقال سيدنا عمر للقاضي إن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

ثم يوجه سيدنا عمر القاضي إلى استعمال كل الطاقة الفكرية والعلمية والذهنية للوصول إلى الحق، فيقول له: "الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك من الكتاب أو السنة".

إن تأمل القاضي فيما بين يديه من نصوص وأحداث ووقائع أمر ضروري للوصول إلى الحق، وقد قال سيدنا علي كرم الله وجهه كما في الصحيح: "ماعندنا إلا كتاب الله أو ما في هذه الصحيفة - يقصد السنة النبوية - أو فهم أو تيه القاضي".

والتوجيه العمري يشير إلى أمرين وهما واقع الحال الذي يواجهه القاضي، فعندما يكون هناك نص قطعي واضح من الكتاب أو السنة فالعمل به وتطبيقه من طرف القاضي أمر واجب وهو الحل الذي أقره الشارع بمقتضى ذلك النص لجميع القضايا التي تكون موحدة في موضوعها، ولاسبيل إلى ترك النص القطعي وإعمال الرأي الشخصي، ولكن بما أن النصوص محدودة، والوقائع لاحدود لها، إذ قد تطرأ نازلة أمام القضاء لانص فيها كتابا أو سنة فاصلا في النزاع، في هذه الحالة يرجع القاضي إلى فهمه للنصوص والأحداث والوقائع.

إن صحة الفهم وحسن القصد من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عبده، وكلما كان الإخلاص في العمل متوفرا قذف الله في قلب العبد نور الفهم فيصل إلى درجة التمييز بين الحق والباطل والصحيح والفاسد، والهدى والضلال، والغي والرشاد (انظر رسالة عمر في القضاء للاستاذ كنون).

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

ماء زمزم المبارك

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ رحالتنا التجيبي الذي حل بمكة المكرمة في شهر رمضان المعظم من سنة:696هـ، أي في نهاية القرن السابع الهجري، حل بها والشوق قد برّح به وأخذ منه كل مأخذ، ملأ جوانحَهُ وغمرَ نفسه، وأصبح العاشق المولَه يطوف على المعالم المقدسة بمكة وماحولها، تتزاحم، عليه ذكرياتها، الشيقة، وإيحاءاتها الغنية المتدفقة، وهو ولهان يقبل ذا الجدار وذا الجدار، لاثما، داعيا باكيا... يُسَجِّل، ويَصِف، ويقيس... ويوثق، ويعود إلى المصادر والمراجع، ويخصص لكل معلمة حديثا، يطوف بالبيت لا طواف العابد المتبتل الضارع فقط، بل طواف العالم الأثري المتخصص، يسأل، ويقرأ عن كل شيء، ليعرف كل شيء، فبعد حديثه عن بيت الله الحرام، وعن أطوار بنائه، وعن معالمه المحيطة به، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، يخصص حديثا علميا مفيدا عن ماء زمزم، معتمدا على الوثائق والمصادر، وعلى الروايات الشفوية المتداولة بين العلماء والفقهاء، ويرفض كعادته روايات العوام، ومايذكره بعض القصاص الذين يعملون على إثارة عواطف الناس بالحكايات الغريبة، ويتفننون في صنع الأخبار التي يوحي لهم بها خيالهم المجنّح، التجيبي يرفض مثل هذه الأخبار، ويُعَقِّبُ عليها بالإنكار، ويقول عادة: والأظهر والأصح هو كذا.. وعن ماء زمزم يقول: "ذكر بئر زمزم المباركة وفضائلها ومابلغنا من أسمائها، هي: زمزم، وهو أشهر أسمائها، وزمازم، وزمزم، وبرة، والمضنونة، وتكتم، وهمزة جبريل، بتقديم الميم على الزاي، وهزمة جبريل بتقديم الزاي على الميم، والهزمة الغمرة بالعقب في الأرض، وشفاء منعم، وطعام طعم، وطيبة، وشراب الأبرار، ومكتومة، ومكنونة، والسقيا، والروي، وشباعة، وسقاية الحاج، وحفيرة عبد المطلب، وركضة جبريل عليه السلام، وأشهر أسمائها "زمزم".

وبعد ذكر هذه الأسماء أخذ يذكر معاني (زمزم) عند العرب، وقد توسع في ذلك معاصره ابن منظور بمعجمه :(لسان العرب) وأتى ببعض أشعارهم في معاني مادة الكلمة:(زم.م).

يقول التجيبي وبئر زمزم الآن داخل المسجد الحرام، وكانت قديما خارجه قبل أن يزاد فيه.. وعليها قبة عظيمة هائلة، وفيها صنعة عجيبة من قُرَيْصَةِ الخشب، قد تأنق الصناع فيها أي تأنق، وقد قامت على أعمدة هائلة، وهي تقابل الكعبة المعظمة والملتزم والحجر الأسود، وركن الكعبة خارج من ركن الكعبة المشرقة قليلا وبينهما أربع وعشرون خطوة، وبين القبة المذكورة والمقام الشريف عشر خطى، وداخلها مفروش بالرخام الشديد البياض، وأول من فرشها به فيما بلغنا أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور في ولايته رحمه الله، وغَوْرُ البئر المباركة المذكورة من وجه الماء إلى أعلى البئر أربع وثلاثون ذراعا، ويقال: إن من وجه الماء إلى قاع البئر سبع قامات، وقيل بل ثمان وثلاثون ذراعا، وذكر الأزرقي. أي مؤلف كتاب: (أخبار مكة) أن غورها من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعا، وما بقي فهو جبل منقوش، وهو تسع وعشرون ذراعا، وماؤها يفور من ثلاث أعين، أقواها وأكثرها ماء عين من ناحية الكعبة والحجر الأسود، عرف ذلك حين نزحت، لما وقع فيها الحبشي.

ويستمر التجيبي في الحديث على بئر زمزم ويقول بأن تنورَها المستدير من ألواح الرخام المحكم الإلصاق، ويذكر عددا ذرع محيطه، وأن الماء يسير في أنبوب إلى باب الصفا، ليتوضأ الناس منه... ويقول: عايناه في قناة داخل الحرم الشريف وقد احتيج إلى إصلاحه.

ويصعد المؤذنون للأذان فوق قبة زمزم، وفي رمضان يقف أحد المؤذنين إثر صلاة المغرب رافعا صوته بالدعاء لملك الديار المصرية والشامية، والملك في هذا الوقت كما يقول التجيبي هو: السلطان الأجل، حسام الدين والدنيا، أبو الفتح لاجين المنصوري، ويصفه المؤذن الذي يدعو له بقوله: ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين نجم الدين، ثم يرفع صوته بالدعاء أيضا للسيد أبي نمي أمير مكة وجهاتها... ويذكر في دعائه سلسلة نسبه إلى سبط النبي صلى الله عليه وسلم، الحسين بن علي رضي الله عنهما هذا، وأرى أنه من المفيد التعريف بالسلطان لاجين الذي كان يدعى له فوق قبة زمزم في ليالي رمضان، وفي غير ذلك من الأوقات والمناسبات، هو المنصور لاجين: (698.635هـ)حسام الدزين عبد الله المنصوري من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام، وهو الحادي عشر من ملوك الترك ويسمى "الروك" الحسامي، وكان مملوكا للمنصور قلاوون، وإليه نسبته (بالمنصوري) وارتفعت مكانته إلى أن ولي نيابة السلطنة، ثم أصبح هو السلطان، وتلقب بالمنصور، كان مهيب الشكل موصوفا بالفروسية، وكان يحب العدل، ومجالسة الفقهاء، أبطل كثيرا من المكوس متأثرا بتوجيهاتهم...

أما الشريف أبو نمي فقد عرف به التجيبي تعريفا كافيا، ثم عاد لإتمام الحديث عن زمزم، وأورد حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وفيه: فإذا هي بالملك. يعني هاجر أم اسماعيل عليه السلام. عند موضع زمزم يبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها، وهي تفور بعدما تغرف، قال ابن عباس، قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا". هذا من حديث طويل في صحيح البخاري، أورد بعضه التجيبي هنا، وبعد ذلك قال: ثم مرت على زمزم الدهور. فدثرت إلى أن نام عبد المطلب في الحجر فرأى في منامه الرؤيا التي كانت سببا في حفر بئر زمزم، حيث قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت، فقال احفر طيبة، قال: قلت وماطيبة؟قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني، فقال: احفر برة، قال: قلت ومابرة؟ ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني، فقال : احفر المضنونة، قال: قلت: وما المضنونة؟قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني، فقال: احفر زمزم، قال قلت: ومازمزم؟قال: لاتنزف أبدا، ولاتذم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل، قال: فلما بين لنا شأنها، ودل على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمعوله، ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره، فحفر، فلما بدا لعبد المطلب الطي كبّر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه، فقالوا: ياعبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقا، فأشركنا معك فيها، فقال: ما أنا بفاعل، إن هذا لأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، قالوا: فأنصفنا فإنا غير تاركيك فيها حتى نخاصمك، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم حتى أخاصمكم إليك قالوا: كاهنة بني سعد بن هديم، قال نعم، وكانت بأشراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، والأرض إذاك مفاوز، قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، فني ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فأستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم، وقالوا : إنا بمفاوز، وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ماصنع القوم، ومايتخوف على نفسه وأصحابه، قال: ماذا ترون؟قالوا: مارأينا إلا تبعٌ لرأيك، فمُرْنا بما شئت، فقال: إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته بنفسه، بمالكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته، ثم واروه، حتى يكون آخركم رجلا، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا، قالوا نعم ما أمرت به، فقام كل رجل منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لانضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجزٌ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا، فارتحلوا، حتى إذا فرغوا، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ماهم فاعلون؟ تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب، فكبر عبد المطلب ثم نزل فشرب، وشرب أصحابه، واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش، فقال: هلم إلى الماء، فقد سقانا الله، فشربوا واستسقوا، ثم قالوا: قد والله قضيَ لك علينا ياعبد المطلب، والله لانخاصمك في زمزم أبدا، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة، لهو سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدا، فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبينها.

بعد هذه القصة الطويلة في منازعة قريش لعبد المطلب وتسليمهم له في النهاية بعد معجزة انفجار الماء من تحت راحلته أذ عنوا له.

يقول التجيبي: فالسقاية في بنيه إلى يومنا هذا، وقد قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم" إلى أن يقول التجيبي: وفضل الشراب من زمزم المباركة مروي صحيح مشهور، وما ظهر لوارديها من الكرامات مُدَوَّن مسطور، وها أنا ألمع بشيء من ذلك إن شاء الله تعالى، والله ولي التوفيق"

وفيما بعد يروي رحالتنا الأحاديث والآثار الواردة في فضل ماء زمزم، (وإلى حلقة أخرى بحول الله).

(تتمة ص:1)

والفهم المطلوب يخص أمرين لتحقيق الهدف، أولا: فهم الأحداث والوقائع وتحديد موضوع الخصومة بكيفية شاملة، ومعرفة جميع الجوانب التي تكون خفية عن قصد أحيانا من المعنيين بالأمر أطراف النزاع، ثانيا فهم النصوص التي تكون هي الفاصلة في الوقائع، والنصوص: إما كتاب الله عز وجل، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو رأي المجتهدين في الأمة لإيجاد الحلول للمشاكل الاجتماعية بين المسلمين، ومعرفة الأمثال والأشياء والوقائع والأحداث السابقة والفصل فيها بين المسلمين والتي لم يتسرب إليها الخطأ يعتبر من الأمور التي يستعين بها القاضي للوصول للحق المطلوب إثباته أو نفيه.

ونتابع الرسالة العمرية بتوجيه في الرأي الفقهي بصفة عامة والرأي في القضاء والفصل في الخصومات بصفة خاصة عندما وجهت الرسالة رجال القضاء إلى استعمال القياس للوصول للحق والعدل فقال عمر رضي الله عنه: "ثم قس الأمور عند ذلك فاعمد إلى أحبها عند الله وأشبهها بالحق فيما ترى"

إن توجيه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه للقضاة لاستعمال القياس عندما يكون القرار حكم شرعي بين الناس، والفصل في خصوماتهم الدنيوية ونزاعاتهم الشخصية يعتبر توجيها سليما سبق به فقهاء المذاهب الفقهية، وقد نقول أنه وجههم إليه لاستعماله عند الحاجة كمصدر من مصادر استنباط الأحكام الشرعية عن طريق العقل عندما يقفل باب النقل.

القياس في اللغة هو التسوية بين شيئين، وفي الاصطلاح إلحاق صورة مجهولة الحكم بصورة معلومة الحكم لأجل أمر جامع بينهما يقضي ذلك الحكم (انظر مفتاح الأصول للشريف التلمساني)

ومن التعريف نستفيد أن القياس هو إلحاق واقعة غير منصوص على حكمها وهي الفرع بواقعة أخرى معلومة الحكم وهي الأصل ، لجامع وهو علة الحكم، فينتقل حكم الأصل إلى حكم الفرع، وأركان القياس معروفة عند الفقهاء وهي أربعة أشياء: الأصل، والفرع، والحكم، والعلة، وصحية القياس في استنباط الأحكام الشرعية لدى الفقيه أو القاضي لها سند من القرآن والسنة وعمل الصحابة رضي الله عنهم.

وقد نقل الفقهاء أن القرآن الكريم اشتمل على أكثر من أربعين مثلا يتضمن تشبيه الشيء بنظيره والتسوية بينهما في الحكم.

والأقيسة المستعملة في الميدان الفقهي هي قياس علة، وقياس دلالة، وقياس شبه، فتتبع العلل والأوصاف المؤثرة فيها يعطيك الحكم الإيجابي أو السلبي.

ويقول ابن جزي إن القياس هو إعمال الرأي ومجال الاجتهاد وبه تثبت أكثر الأحكام، فإن نصوص الكتاب والسنة محصورة ومواضيع الإجماع معدودة والوقائع غير محصورة، وباستعمال القياس يتفتح العقل وتتسع دائرة التفكير، والتدبر بالدخول إلى معرفة العلل والمقاصد ومجالات الارتباط واتساع دائرة الاجتهاد وتغطية جميع الوقائع بالأحكام الشرعية المناسبة لظروف الزمان والمكان.

وهكذا يكون الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدولة الإسلامية يوصي باستعمال القياس عند انعدام النص الشرعي النقلي، وهو باب واسع في الاجتهاد، واستعمال الفكر والعقل للوصول إلى الغاية المقصودة.

ونتابع إن شاء الله الرسالة العمرية في العدد المقبل والسلام.

الوثاق

تقييد في متولي القضاء والفتوى والشهادة للشيخ

العلامة خاتمة المحققين أبي عبد الله سيدي محمد بن المرحوم سيدي المدني كنون أمنه الله

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله سريع الحساب ، المان بإلهام الصواب، والصلاة والسلام على أفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وأصحابه الأتقياء الإنجاب، عدد خلق الله بدوام الله رب الأرباب،
وبعد فقد ورد العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فسلوا رحمكم الله، فإنه يوجر فيه أربعة، السائل، والمعلم، والمستمع، والمحب لهم، وورد ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدي، أو يرده عن ردى، وإني لمعترف بقصر باعي، وقلة اطلاعي، فبالله عليكم هل تعلمون فيمن تقدم أو تاخر، ومن يعتبر لتقواه أو لا يعتبر، من كان يتعاطى فصل النوازل مع الإفتاء فيها، ولا أظن أحدا الا يكون عن ذلك نزيها بل الذي يظهر لعقلي القاصر، وفهمي الفاتر، انه لو أجمع على جواز ذلك فيما تقدم من الاعصار الكثيرة الصدق والإنصاف والزهد والتجرد والأنوار لم يجوزه اليوم أحد من أولى الابصار، لضد المذكورات وغير ذلك من الأشرار، كنصب حبائل الرشى والمداهنة والأضرار، كما لا يخفى على أولى الأنظار حتى قال في المدخل عن صاحب كتاب الأنوار، إنا لله وإنا إليه راجعون على موت الأخيار، والبقاء مع قوم لا يستحيون من فضيحة ولا عار هـ
انشد لبعض الأدباء الأبرار:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * * * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم * * * بعضا ليدفع معور عن معور
ابني ان من الرجال بهيمة * * * في صورة الرجل السميع المبصر
فظن بكل مصيبة في مال * * * فإذا اصيب بدينه لم يشعر
فسل اللبيب تكن لبيبا مثله * * * من يسع في علم باب يظفر

الحلقة الثانية

■ وبهذا التفصيل المتفق عليه أو المشهور جرى العمل كما أفصح عن ذلك أبو زيد في عملياته، بقوله وشاع إفتاء القضاة في الخصام معا لغير حكمهم به قوام، فانظر مفهوم قوله مما لغير حكمهم به قوام، ولذلك والله أعلم لم يذكره الزقاف في عمل فاس بل ذكره في آداب القاضي مقتصرا عليه كأنه المذهب، ولا السجلماسي في العمل المطلق، لما رايا أن العمل موافق للمتفق عليه أو المشهور كما هو الأصل، ثم رأيت أبا علي في حواشي التحفة صرح بهذا أعني صرح أعني أن العمل موافق للتفصيل المتفق عليه أو المشهور كما صدر باب ما لابن عبد الحكم وفاق قائلا لا يخفاك أن هذا التوفيق صحيح هـ،

■■■

نعم رجح أن النهي في ذلك على التنزيه مستدلا بأن كلام الناس جلهم إنما فيه النهي ثم ساق عبارات ابن شاس وابن الحاجب وضيح المتقدمة وغيرهم، ونقل أثر كلام ضيح ما تقدم من قول ابن مرزوق وفيه غير هذا من المفاسد هـ.

قلنا النهي للتحريم حقيقة على الراجح عند الأصوليين والشيء إذا أطلق انما ينصرف في الغالب للفرد الكامل منه ولا خفاء أنه هنا للتحريم ويؤيده ما مر من تعليل المسألة في كلام ضيح وابن مرزوق كما أشار له الخطاب قائلا، وقد عده ابن فرحون في الأمور اللازمة له في سيرته في الأحكام هـ .

ومن عبر بلا ينبغي أو بالكراهة أراد التحريم بدليل ما ذكرنا ولأن كلام الأقل يرد إلى كلام الأكثر لا العكس كما هو ظاهر والله أعلم ،

■■■

هذا وظاهر كلامهم أنه لا فرق في ذلك بين المجتهد وغيره مطلقا وهو كذلك، بل الظاهر أن كلامهم إنما هو في غير المجتهد لأن الاجتهاد قد طوى بساطه بموت الشافعي رضي الله عنه، كما قيل وكل من تكلم على المسألة متأخر عن كذلك قطعا، فكلامهم إنما هو في المقلد، وظاهرهم مطلقا أي سواء كان حكم المسألة المفتى فيها متفقا عليه أم لا، وهو كذلك بدليل ما تقدم من تعاليل المسألة، والحكم يدور مع العلة وجودا وعدما وقد اطلق في المسألة غير واحد من أرباب المتون والشروح والحواشي، كابن شاس وابن الحاجب وابن عاصم والزقاق وأبي زيد الفاسي، وابن فرحون، وابن سلمون، وابن جزي، وابن عرفة، وضيح، والحطاب، والمواق، ومصطفى، والتاودي، وابن غازي، والشيخ ميارة، وأبي حفص الفاسي، وأبي علي، والميشاوي، في شرح العمل الفاسي، وترك التقييد إطلاق كما تقرر ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، كما تقرر أيضا، والظواهر إذا كثرت عند الفقهاء صارت نصا، وأفادت القطع.

■■■

فقول العلامة المحشي بناني محل النهي حيث لا يمكن الاطلاع على مذهبه إلا من افتائه وذلك إذا كان مجتهدا أو مقلدا أو في المسألة قولان متساويان والله اعلم هـ،

غير ظاهر بل يرده ما نقله بناني نفسه عن المسناوي وسيأتي في الفائدة الثالثة، تامله منصفا لا متعسفا، مع أنه انفرد به تبعا لشيخه العلامة ابن عبد السلام بناني في شرح الزقاقية ونحوه في الخرشي، والزرقاني، غير معزو لأحد والله أعلم.

■■■

نعم قال البرزلي محل النهي إذا كانت الفتوى بما يمكن أن تعرض بين يديه، وأما لو جاءته من خارج بلده أو من بعض الكوار، أو على يد عماله، فليجبهم عنها هـ، وهذا في الحقيقة بيان لمراد الأيمة بقولهم ما يختصم فيه إليه أي ما شانه ذلك كما أشرنا إليه آنفا انه قيد زائد عليه، كما هو واضح، فتحصل أن النوازل ثلاثة أقسام،

■■■

القسم الأول ما لا يدخله الحكم أصلا، كالعبادات - الثاني ما يدخله الحكم، ولكن لا يمكن أن يعرض بين يدي القاضي بوجه ولا بحال، وفي هذين القسمين يجوز له الافتاء وعليهما تكلم ابن عبد الحكم، وهما محمل ما للخلفاء.

الثالث كالثاني، ولكنه يمكن أن يعرض بين يديه في وقت ما، فهذا لا يجوز له الافتاء فيه، وعليه تكلم مالك وغيره وكل من مالك وابن عبد الحكم قائل بما قال به الآخر، وإنما اختلف حكمهما لاختلاف موضوعهما، وأن المذهب كله على هذا التفصيل على المعتمد المؤيد بالدليل خلافا لمن جعل ما لابن عبد الحكم مخالفا لما لإمامه الجليل، وعلى كل حال فالعمل إنما هو بذلك التفصيل كما أفصحت عنه عبارة أصله الأصيل، فقول من قال العمل بقول ابن عبد الحكم معنى بناء على الخلاف فيه تسامح، لا يخفى، ولو سلم فقد نسخ بترك العمل به من الأيمة الأعلام الذين لهم شهرة بالفصل بين الأنام لقطعهم بانقطاع المصلحة التي لأجلها يشرع العمل بالشاذ ويرام وإحداث المفاسد والحبائل العظام، فكيف يمكن من إحيائه من يريد التوصل به لأكل الحرام، وقد قال بعض العلماء كما في المدخل، يا هذا عليك باتباع السنة، وأكد من اتباع السنة اتباع السلف بأنهم أعرف بالسنة منا.

■■■

وقال في المدخل أيضا، فالسعيد السعيد من شد يده على الكتاب والسنة والطريق الموصلة إلى ذلك، اتباع السلف الماضين لأنهم أعلم بالدين وأعرف بالسنة منا لأنهم أعرف بالمقال، وأقعد بالحال، وكذلك الاقتداء بمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وقد قال أسد بن الفرات رضي الله عنه، لما رأى بعض العلماء بجامع مصر وهو يقول، قال مالك كذا وهو خطأ، وذهب مالك لكذا وهو وهم، والصواب كذا فقال ما أرى هذا إلامثل رجل وصل إلى البحر فرأى أمواجه وعجيجه، فجاء إلى جانبه فبال بولة، وقال هذا بحر آخر هـ.

■■■

هذا وقد قال سحنون لا يستشير القاضي من شهد عنده من العلماء فيما شهد فيه، حكاه ابن يونس وجزم ابن مرزوق، وضيح وبه يفيد قول خليل، أو شاورهم كما أشار إليه الرهوني رحمه الله، وإذا كان لا يستفتى العالم الشهيد فيما يشهد فيه خشية تجويز شهادته بفتواه فمن باب أحرى أن لا يفتي فيما يحكم فيه، خشية التعصب لتجويز فتواه بحكمه كما هو مشاهد في قاعلي ذلك، وأهله لاسيما إن أخذ على فتواه أضعاف أضعاف أجرته، وجعله وحبك للشيء يعمى ويصم.

■■■

وفي المدخل ما نصه قد تقرر من أصل الشرع والطبع والعادة ان النفس مكارة، خداعة، متكبرة، متجبرة، منازعة للربوبية، فالشيطان على ما جبل عليه من الشيطنة، والتمرد، والكفر، والطغيان، والعصيان، لا ينازع الربوبية، وهي تنازعها، فإن شعرت من صاحبها أنه يردها عن أحوالها المستهجنة، قل أن تظهر له شيئا من خباياها، وبقيت تحتال عليه في حظوظها، والغالب منها محبة الحظوة، والشهرة، والظهور على الأقران ومحبة الشرف، والرفعة على الناس، والكبر عليهم هـ، والغالب عليها أيضا الميل للنفس، والأقارب، والأصحاب، ومن يعاملها بخير،

قال سيدي محمد ميارة، وقد سمعت من بعض أشياخي أن أميرا ولى إنسانا الحسبة، ثم بعد أيام قليلة استقال منها، فقال له، إن الناس يهدون لي ويعاملونني لما توليت، ولا أقدر أن أحكم على من يعاملني بخير بما يكره هـ، هذا وقد قالوا يجب على القاضي أن يسوي بين الخصمين مجلسا، وكلاما، ونظرا، وطلاقة،ورفع صوت، وغير ذلك ليلا يوهن أحدهما وتضعف نفسه، ويدخل عليه سوء الظن إن لم يسوّ بينهما، وأي توهين وضعف نفس أعظم من توهين، وضعف نفس من أفتى عليه القاضي، كما أنه لا صولة، ولا قوة، أعظم من صولة، وقوة من أفتى له، ولذلك يبذل له على فتواه أضعافا مضاعفة مما بذل الغيرة ممن أفتى له، وهذا مدرك بالمشاهدة، والوجدان، وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل، وهذا كله حيث كان الافتاء لبيان حكم الله خشية عذاب الله، إن الذين يكتمون ما أنزلنا الآية، من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار، وأما إذا كان المفتي متصيدا لفلسه بما عيا في حظ نفسه باحثا عن غرض المستفتي، وبذله ملقنا له من الفجور ما فيه سخط ربه، غير مبال بذلك، ولا بخراب ديانته ومروءته، كما هو بديهي في هذا الزمان، فمعاذ الله أن يقول مسلم بإباحته لغير أهل القضاء، وولايته فضلا عن المتولي لرتبته، فالواجب سد هذا الباب، وحسم مادته ليلا يتسع فيلج فيه كل متبع لهواه، وشهوته، مقتديا بعضهم ببعض في ضلالته، مسولة لهم أنفسهم أنهم على هدي السلف وطريقته، كلا والله لا نلحق غبارهم ولا نشم من رائحته،

وأما الأسامي فإنها كأسامیهم، وأرى شخوص الحق مشخوصها، وقد قال ابن عبد السلام الخطط الشرعية صارت اليوم أسماء شريفة على مسميات ذميمة، خسيسة، فمن ظن أن السلف كانت مثلنا فهو ذو ريبة في دينه وديانته، لظنه فيهم ما لا يليق بدينهم وجلالته، وقد قال بعض السلف لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله أبدا فيمن آذاهم معلومة، والمراد بالعلماء في هذا ونحوه، الذين يعملون بعلمهم، كما رواه إمامنا مالك وغيره، ولاشك أنهم السلف الماضون ومن سلك مسلكهم في التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل، وأما غيرهم ففي الحديث مرفوعا كما في المدخل، هلاك أمتي عالم فاجر، وعابد جاهل، وشرار الشرار شرار العلماء، وخيار الخيار خيار العلماء هـ، هذا ولابد من ذكر فوائد تتعلق بالفتوى عموما.

يتبع/.....

الحديث السادس والمائة: وجوب دوام تربية الأبناء

في ظلال الحديث:

نص الحديث:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت " رواه أحمد.

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه الإمام احمد في مسنده، في مسند عبد الله بن عمرو ج2/ص160/ح6495 وج2/ص193/ح6819وج2/ص194/ح6828، وأخرجه الحاكم في مستدركه ج1/ص575/ح1515، وأبو داود في سننه في الزكاة ج2/ص132/ح1692. وابن حبان في صحيحه ج10/ص52/ح4240. والطيالسي في مسنده ج1/ص301/ح2281.والحميدي في مسنده ج2/ص273/ح599. والطبراني في معجمه الكبير ج12/ص382/ح1341. والنسائي في سننه الكبرى ج5/ص374/ح9176، والبيهقي في سننه الكبرى ج7/ص467/ح15472، ج9/ص25/ح17601... ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب فضل النفقة على العيال، بمعناه، قال: "كفى بالمرء أن يحبس عمن يملك قوته".

درجة الحديث:

قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووهب بن جابر من كبار تابعي الكوفة.

سند الحديث

هذا الحديث أخرجه، بهذا السند أحمد في مسند عبد الله بن عمرو، وقال: حدثنا يحيى عن سفيان عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو بن العاص وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا يحيى: هو يحيى بن سعيد بن فروخ القطان، الإمام العلم سيد الحفاظ أبو سعيد التميمي مولاهم البصري القطان ولد سنة عشرين ومائة (120 هـ). قال ابن معين قال لي عبد الرحمن : لاترى بعينيك مثل يحيى القطان، وقال ابن المديني، مارأيت أحدا أعلم بالرجال منه، وقال بندار: هو إمام زمانه، وقال ابن عمار: كنت إذا نظرت إلى يحيى بن سعيد ظننت أنه لايحسن شيئا كان يشبه التجار فإذا تكلم أنصت له الفقهاء، وقال أحمد بن محمد بن يحيى: لم يكن جدي يمزح ولايضحك إلا تبسما ولادخل حماما وكان يخضب، وقال ابن معين: أقام يحيى القطان عشرين سنة يختم كل ليلة، وقال محمد بن أبي صفوان: كان نفقة يحيى القطان من غلته حنطة وشعير وتمر، قال يحيى بن معين ، لم يفت الزوال في المسجد يحيى بن سعيد أربعين سنة، وقال أحمد مارأيت أحدا أقل خطأ من يحيى بن سعيد، وقال العجلي : كان نقي الحديث لايحدث إلا عن ثقة، وقال ابن معين، كان ضعيف القلب وكان له جار فوقع فيه وشتمه فجعل يحيى يبكي ويقول صدق من انا وما أنا، وقال النسائي: أمناء الله على حديث رسول الله (ﷺ): مالك وشعبة ويحيى القطان: وقال أحمد: إلى يحيى القطان المنتهى في التثبت، توفي رحمه الله في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة (198هـ) بالكوفة.

عن سفيان: سفيان بن سعيد بن مشروق الإمام شيخ الإسلام سيد الحفاظ أبو عبد الله الثوري الكوفي الفقيه، من كبار الأتباع، قال عنه الإمام أحمد: لم يتقدمه في قلبي أحد، وقال القطان مارأيت أحفظ منه، وقال عبد الرزاق، قال سفيان: ما استودعت قلبي شيئا قط فخانني، وقال ابن المبارك لاأعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان، وقال وكيع، كان سفيان بحرا، وقال ابو اسامة: من أخبرك أنه رأى مثل سفيان فلا تصدقه وقال ابن أبي ذئب، ما رأيت بالعراق أحدا يشبه ثوريك الثوري، كان قوالا بالحق شديد الإنكار مات بالكوفة في شعبان سنة إحدى وستين ومائة رضي الله عنه.

عن أبي إسحاق: هو عمرو بن عبد الله بن عبيد ويقال علي ويقال ابن أبي شعيرة أبو إسحاق السبيعي الكوفي وله لسنتين من خلافة عثمان. قال ابن معين والنسائي، ثقة وقال ابن المديني: أحصينا مشيخته نحوا من 300 شيخ، وقال مرة 400، وقد روى عن سبعين أو ثمانين لم يرو عنهم غيره، وقال العجلي كوفي تابعي ثقة والشعبي أكبر منه بسنتين ومات يوم دخول الضحاك الخارجي للكوفة سنة 128.

عن وهب بن جابر: هو وهب بن جابر الخيواني كوفي تابعي ثقة، روى عن عبد الله ابن عمرو، وروى عنه أبو إسحاق الهمداني فقط قال عثمان بن سعيد الدارمي قال سألت يحيى بن معين عن وهب بن جابر فقال ثقة، وكذلك قال العجلي وذكره بن حبان في الثقات.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص: هو أبو محمد عبد الله بن عمروبن العاص رضي الله عنهما، من فضلاء الصحابة وعلمائهم وزهادهم وعبادهم، يصوم النهارويقوم الليل، وكان من أكثر الناس أخذا للحديث والعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد عمي آخر عمره، وكان مع أبيه إلى أن توفي أبوه بمصر، ثم انتقل إلى الشام، ثم إلى مكة ومات بها سنة 65هـ، عن 72 سنة، وروي عنه رضي الله عنه 700حديثا.

أهمية الحديث

هذا حديث عظيم ينبه المسلم من الانزلاق في ذنب خطير، وهو تضييع تربية وتغذية الأبناء، وهو ينص بمضمونه ومفهومه ليس على الطعام والشراب والملبس فقط، بل حتى على التربية التي هي غذاء الروح والجسم والعقل، ومن ناحية أخرى يذم البخل والتقتير على الأهل والأبناء ومن يعولهم إذا كان مستطيعا.

المعنى العام

1. تقديم:

بمناسبة انتهاء السنة الدراسية، واستعداد عدد من الأسر لقضاء العطلة الصيفية في مكان ما، حسب الذوق والاستطاعة المادية، رأيت أن نتحدث اليوم حديثا خاصا منبعثا من قلب محب نصوح، إلى كل أب وأم مسلمين، لهما من الحب والغيرة على أبنائهما مايكفي لخلق جسور تواصل وحوار داخلي، للتفاهم والتناصح، وذلك لأنني أحاول أن يكون حديثي ونحن نستظل بظل هذا الحديث النبوي العظيم، الذي ينبه من خلاله الحبيب المصطفى أبناء الإسلام من الوقوع في إثم خطير، وغيره مما ورد في الموضوع، قلت أريد أن يكون هذا الكلام أرضية موحدة للفهم، لعلنا ندرك أن العطلة الصيفية، إن كانت استراحة من عناء الدراسة، فهي لاتعني إطلاقا الانفلات من التربية والتعلم، والتأدب والتخلق والمزيد من المعارف والتجارب، وأن تكون فرصة استدراكية لما يكون قد فات الأبناء في مجال التربية والتدين، وهم في خضم هموم الدراسة والامتحانات، فالمحافظة على الأبناء من الهلاك في الدنيا والآخرة من مسؤولية الآباء، قال الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون).سورة التحريم/الآية:6.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية: اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فذلكم وقايتهم من النار.

2. الولد نعمة وجب التقرب إلى الله بالشكر وحسن التربية

إن من نعم الله عز وجل علينا والتي لاتعد ولاتحصى، نعمة الولد، زينة الحياة الدنيا، وإن الحديث وإن كان ظاهره ينص على ضرورة الإنفاق على من تجب على المرء نفقتهم، والأبناء يكونون في الدرجة الأولى بطبيعة الحال، إلا أننا إذا تمعنا الحديث جيدا وامحصنا النظر فيه، فإنه سيتبين لنا أنه ينص على عدم الإهمال بعمومه وهو ما عبر عنه بالتضييع، وعليه فإننا سنعمم الكلام ونجعله شاملا للأمر كله وهو التربية بمفهومها الشامل، لأن مهمة تربية الولد مهمة عظيمة يجب على الآباء أن يحسبوا لها حسابها، خصوصا في هذا الزمان الذي تلاطمت فيه أمواج الفتن من الشرق والغرب، واشتدت غربة الدين، وكثرت فيه دواعي الفساد حتى صار الأب مع أولاده كمثل راعي الغنم في أرض السباع الضارية، إن هو غفل عنها أكلتها الذئاب، وكل أب مهما كان، يحب أن يرزقه الله الذرية الصالحة، ويحب أن يكون ولده خير منه، فما هو المخرج من هذه الفتن للوصول إلى هذا الهدف المنشود. وهل انتهاء السنة الدراسية معناه انتهاء السنة التربوية، وأن ترك الأبناء يتيهون في الأرض كالبهائم لارقيب ولاحسيب، حجتنا في ذلك أنهم في عطلة، فلا صلاة في وقتها، ولاحشمة ولاوقار، إلى غير ذلك من المظاهر التي تبرز في مجتمعنا وتخص أبناءنا كلما حلت العطلة... أبدا ليس هذا مفهوم التربية والمحافظة على الأبناء في المنظور الإسلامي، إنما التربية عمليه مستدامة، يقوم بها الأبوان قياما بالمسؤولية وأداء للواجب وتقربا إلى الله طوال السنة، يوما بعد يوم، ولحظة بعد لحظة...

3. منزلة وحقوق الأبناء في الإسلام

لقد اختص الإسلام الأولاد بمنزلة خاصة قبل الولادة وأثناءها وبعدها حتى يكبر ويقوى، وحمل المسؤولية كاملة للوالدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وأحمد ومالك. فالوالدان يتحملان المسؤولية قبل الزواج وذلك باختيار الأم الصالحة خصوصا لما للأم من دور هام في التربية وتنشئة الأولاد، قال الله تعالى (ولأمة مومنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) سورة البقرة /الآية:221 وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي (ﷺ) قال: "تنكح المرأة لأربع لمالها وحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك" متفق عليه

وتتوالى بعد ذلك حقوق الأبناء على الآباء، ومنها تسمية المولود باسم حسن لقوله (ﷺ) حين ولد ابنه ابراهيم من مارية: "ولد لي الليلة غلام فسميه باسم أبي ابراهيم" رواه مسلم، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص) : "إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، فأحسنوا أسماءكم" رواه أبو داود.

ومن الحقوق: النفقة، فالإنفاق على الأبناء واجب، على الذكر حتى يشتد عوده ويستطيع أن يعول نفسه، والأنثى حتى تتزوج، فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) : "اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول" رواه الطبراني، والحديث الذي نحن بصدده : "كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت"، وإن اهتم الوالد بالذكر دون الأنثى فقد ارتكب إثما عظيما، ويكون متشبها بالكفار أيام الجاهلية، ولو درس هذا الرجل الإسلام لعلم أن النفقة على الأنثى أفضل عند الله من النفقة على الذكر وفي كليهما خير، فعن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ﷺ): "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه" رواه مسلم، وفي رواية للترمذي: عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه".

ومعنى الحديثين أن من قام برعاية بنتين أو أختين أو غيرهما فأنفق عليهما وأحسن تربيتهما وأدبهما، جعله الله يوم القيامة في منزلة الجار الملاصق للنبي (ﷺ) في الجنة، فاللهم ارزقنا جوار نبيك.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئا غير تمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته فقال: "من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار" رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد.

وإلى الأسبوع المقبل مع الجزء الموالي، أسأل الله عز وجل لنا جميع التوفيق والسداد.

حديث المنابر

حوادث السير

■ إعداد الأستاذ: عبد الله الطلبي كدير

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الرحمن الرحيم الذي جعل من قتل النفوس بغير حق شيئا نُكراً.. أشهد أنه الله لا إله إلا هو وحده لاشريك له الخلاق العليم البارئ المصور بديع السموات والأرض، خلق الإنسان وسواه وهداه، وكرمه وفضله على كثير من مخلوقاته تفضيلا، وشرع له من الشرائع مايؤَمِّن حياته ويباركها ويزكيها، وأنزل إليه من الوحي الكريم، والذكر الحكيم، على لسان كل نبي مرسل عظيم، مايُسعد عيشه ويُرغده ويُسدِّدُه، فقال جل من قائل: "من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا" (المائدة:32)وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله، علمنا بأمر الله، وبلغنا بصدق وأمانة وحي الله، فقال وهو الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى فيما صح واتفق عليه من جوامع كلمه: "أول مايقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء"(البخاري ومسلم...)لأنها أعظم المظالم وأكبر الآثام لمن كان سببا في سفكها وإراقتها مباشرة أو بغير مباشرة بغير وجه حق... فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن عمل بهديه وسنته إلى يوم الدين.

أيها المومنون البررة الكرام، أصبحت حوادث السير في الطرقات في المدن والقرى والبوادي، في السفر والحضر، هماً مُؤرِّقاً يشغل بال الجميع، لما يزهق فيها من أرواح، ولما تسفك فيها من دماء، ولما ينتج من أعطاب وأعطال في أجسام من يكونون ضحاياها وفي نفوسهم وعقولهم... وماتؤدي إليه من عواقب وخيمة على أبنائهم وأزواجهم وآبائهم وأمهاتهم... فكم أيتمت من أبناء وبنات... وكم أثكلت من آباء وأمهات، وكم أرملت من أزواج وزوجات... ولا مجال في خطبة الجمعة لتعداد المصائب والكوارث الناتجة عنها في كل وقت وحين...

وما أود أن أسلط عليه الأضواء في هذه الخطبة الموجزة هو أن أنبه إلى ما أعده الله تعالى لمن كان بتهاونه واستهتاره سببا مباشرا أو غير مباشر في حادث من هذه الحوادث الفاجرة الكافرة التي لايرعى مسببوها حرمة ولايحترمون قانونا.... إن سائقا مستهترا يستهين بأرواح الناس ودمائهم وأموالهم حين يخالف إحدى قواعد المرور والسير في الطرقات سفرا أو حضرا.. إنه مجرم أثيم، وقاتل معتد زئيم، حتى ولو لم ينتج عن خَرقه للقواعد والقوانين المعمول بها حادث ما... فهو إن لم يكن قد قتل نفسا أو نفوسا، أو سبب أضرارا أو أعطابا أو خسائرَ بالفعل...فقد حاول ذلك باعتدائه على حُرمة الطريق وخَرقه لقواعدها وقوانينها..فكأنه قد قتل وسفك وآذى وأضر.. وهذه كلها من الموبقات المهلكات التي لايملك أحد أيًا كان أن يتسامح فيها أو تأخذه بمقترفها المجرم الأثيم رافة أورحمة... فمن السبع الموبقات قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق... ومن حاول ذلك عمدا بتهاونه واستهتاره وعدم اهتمامه بحرمات الناس وأرواحهم وممتلكاتهم فكأن قد فعل بالتحقيق... وأيُّ رجل أمنِ أمين مؤمن يرعى الله وحرمات الناس وأرواحهم ودماءهم لايملك الحق في أن يعفو عنه أو يغضُّ الطرف عن جريمته... وإلا فهو شريكه فيها... وكل روح أزهقت، أو دم أريق، أو جسم أعطب أو عُطل فيه عضو، وكل طفل أيتمه حادث طريق.. وكل أرملة فقدت عائلها.. وكل أم ثكلت... إلا وجريرة ماوقع لهم تقع على سائق مستهتر، ورجل أمن خائن، ومسؤول عن مراقبة حال صيانة وسائل النقل الخاصة والعمومية مرتشٍ أو محابٍ...أو مكلف بمراقبة حال الطرق مختلس.... وكل ذلك من أسباب ماعمت به البلوى من حوادث الطرق... وكل أولئك مشتركون أو منفردون، ومعهم الشياطين الخرْسُ من الناس الساكتون عن الحق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يتحملون وزر مايسفك من دماء الناس ويهدر من أرواحهم وأموالهم وسلامة أبدانهم واستقرار أحوالهم في أُسَرِهم...

ورسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يؤكد لنا في صحيح حديثه: "لن يزال المؤمن في فُسْحة (مجال للتوبة والاستغفار) من دينه مالم يصب دما حراما"(البخاري والحاكم)... وقال أيضا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: "لزوال الدنيا جميعا أهون على الله من دم سفك بغير حق"(البيهقي) فيا أيها السائق المستهتر...تمر في مفترق الطرق والضوءُ الأحمرُ واضحٌ متوهج كالنار التي ستصلاها يوم القيامة ولاتبالي... لاتزال أمامك فسحة فاغتنمها... أيها الشرطي أو الدركي الذي يغض الطرف عن مخالف لقواعد المرور لأي سبب من الأسباب... رشوة أو محاباة أو تهاون...أمامك فرصة فاغتنمها... أيها المسؤول عن مراقبة صيانة السيارات وحالها في هيكلها ومحركها وأضوائها وكوابحها وكل مكوناتها... ضع مراقبة الله لك وأنت تؤدي واجبك نصب عينيك، وأمامك فترة للتوبة فبادر إليها... وأنتم أيها المسؤولون عن تجهيز الطرقات وصيانتها في البوادي والقرى والمدن... إن أغلب طرقنا أصبحت كحقول ألغام أو ممرات في شعب الجبال غير المسلوكة... كلها حفر كالمكائد والمكائن.. فاتقوا الله... والوسيلة هي قيامكم بواجبكم فاسعوا إليها... وفقني الله وإياكم لقول الحق والعمل به والدعوة إليه وأجارني وإياكم من تعدي حرمات الله في مقدساته، وأقدسها حرمة الإنسان في دمه وماله وكرامته وجعلني وإياكم من الدعاة إليها بما يرضي الله ويصونها... والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله البر الودود الذي حرم قتل النفس إلا بالحق أو الخطإ غير العمد فقال جل علاه نافيا عن المؤمن القتل الحرام ونيته وقصده: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ"(النساء:92)..وكل من خرق عامدا متعمدا حرمة الطريق فقد تعمد القتل وليس له أن يتعلل ليبرر جريمته بعدم القصد أو الخطإ... وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له الحكيم العليم أكدلنا: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدله عذابا عظيما" ومن تعمد انتهاك حرمات الطريق فله نفس المصير والجزاء... وأؤكد أنه حتى ولو لم ينتج عن جرمه حادثٌ ما، فكأنه قد حدث... وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله علمنا بالوحي الكريم: "من قتل معاهدا لم يَرُحْ رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما"(البخاري)... والعهد أمانة، ومن قتل معاهدا فقد خان الأمانة التي هي الحفاظ على حياة المعاهد.. وقد أمنه الله بعهده، فقاتله خائن لعهد الله، فبالله عليكم أيها المؤمنون، ماذا يمكن أن نطلق على متهاون مستهتر لايرعى حرمة بشر ولاطريق ولاعرفٍ ولاقانون ولاشرع ولا أخلاق ولاعهد ولاذمة فيؤدي باستهتاره إلى إزهاق روح مؤمن أو معاهد جاء بلادنا زائرا سائحا أو في شأن من الشؤون النافعة!!؟ إن رسول الله صلى عليه وآله وصحبه منه بريء وإن أمة الإسلام في سائر بلاد المسلمين منه بريئة لأنه يسيء إليها في سمعتها وفي دماء أبنائها وأهل عهدها وذمتها...هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم... وهكذا علينا أن نكون في أخلاقنا وسلوكنا لنحفظ دماءنا وأموالنا وأجسادنا وأعراضنا وعهودنا لنكون منه وإليه....فحرمة المؤمن والمعاهد بعده الله تصان وترعى وتُكرَّم وتقدس...ومن استهان بها واستهتر غير مبال فلا نصيب له من ثواب الله وعليه غضب الله ولعنته... وله عذاب عظيم، ومما يؤكد حرمة المؤمن والمعاهد بعده الله وكرامتهما ماأخرجه ابن ماجة عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: "ماأطيبك، وما أطيب ريحك، ماأعظمك وماأعظم حُرمَتَك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك، ماله ودمِهِ" فهل يرعى من لايرعى حق الأسبقية في الطريق حُرمةَ لإنسان!؟ وهل يرعى من لايرعى الإشارات الضوئية في الطريق حرمة لإنسان!؟ وهل يرعى من لايرعى علامات الطريق حرمة لإنسان!؟نقول لهذا وأمثاله ماقاله رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ماشئت" ومع ذلك ندعو له ولنا ونقول: اللهم ياذا المعروف الذي لاينقطع أبدا ولايحصيه أحد عددا جنبنا ياالله أخطار الطريق وآفاتها وأهوالها حتى لاتصيبنا من غيرنا، ولا نكون سببا في إصابة غيرنابها.. اللهم ألزمنا بالوعي والصدق والإيمان رعاية حرماتِ الطريق وقواعدها وقوانينها حتى لانكون ممن يريقون دماء الناس ويسفكونها بغير الحق خطأ أو عمدا... اللهم اجعلنا من أهل اليُمن والإيمان والأمانة والسلم والسلام والسلامة والإسلام حتى لايؤذى أحدٌ بنا أو نؤذى بأحد في طريق كدحنا إليك حسا ومعنى راجلين أو راكبين، سائقين أو مسوقين، واركبنا ياربنا مراكب السلامة والعافية واسلك بنا مسالك الفوز والنجاح والغنيمة... مولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين وصنوه الرشيد وأهله اللهم هيء له أسباب التوفيق والنصر..

مكانة الموطأ في الدراسات الحديثة المغربية قبل القرن الثامن الهجري

■ إعداد الدكتورة بشرى الشقوري

■ يعتبر " الموطأ من أهم الكتب التي ألفت عن الإمام مالك ، وهو من أقدم الكتب المدونة في الفقه الإسلامي فهو يجمع بين الحديث والفقه فيذكر الأحاديث الواردة في المسألة الواحدة، ثم يذكر عمل أهل المدينة ، وبعدها يعرض لآراء الصحابة والتابعين ، ثم يبين رأيه مبنيا ومرجحا .. وكتاب الموطأ لم يكن كتاب حديث ، ولم يكن القصد منه الرواية ، وإنما القصد منه الاستدلال بالحديث على الحكم الفقهي . ويعد كتاب الموطأ أول مؤلف في تاريخ الإسلام تناقلته الأجيال منذ تأليفه إلى الأن ثبتت نسبته إلى صاحبه.

وهو أول كتاب حديثي عرفه أهل المغرب ، وعليه كان مدار الحلقات العلمية ، فأقبلوا على هذا المصنف وشغفوا به فقها ورواية ودراية ، فاحتل مكانة خاصة لديهم مع أنهم كانوا قد عرفوا واطلعو على باقي المصنفات الحديثة.

الموطأ أول كتاب حديثي يدخل المغرب

تدل بعض الروايات أن كتاب الموطأ دخل رسميا إلى المغرب الأقصى . بعد القيروان والأندلس . في العقدين الأخيرين من القرن الثاني الهجري ، وتذكر تلك الروايات أن أول من أدخل كتاب الموطأ هو القاضي عامر بن محمد بن سعيد القيسي . وكان قد سمع من مالك والثوري . على عهد إدريس الثاني ، هذا الأخير الذي كان له الأثر البارز في نشر المذهب المالكي ، واتخاذه مذهبا رسميا للدولة الإدريسية ، وكنتيجة منطقية لدخول الموطأ إلى المغرب ، تم تحول أهل هذا البلد من المذهب الحنفي إلى المذهب المالكي وبحلول القرن الرابع الهجري ، سيكون المذهب المالكي قد انتشر في جميع أرجاء المغرب ، فأضحى معتمدهم في القضاء والفتيا.

وبعد ذلك ، توالت المصنفات الحديثة بالدخول إلى المغرب ، خصوصا مع بداية القرن الثالث الهجري حيث دخلت كل من سنن أبي داود وجامع الترمذي ومسند أحمد ، والصحيحن البخاري ومسلم.. وغيرها ، ومع بداية القرن الخامس ستكون أغلب المدونات الحديثة قد عرفت طريقها إلى بلاد المغرب ، واسترعت باهتمام علمائها.

وإذا كان مجموع الدارسين من أهل الحديث والفقهاء قد أجمعوا على أن كتاب الموطأ يعد من أمهات المؤلفات الحديثة الصحيحة ، إلا انه اختلفت آراؤهم وتشعبت مناحيهم في تحديد رتبته بينها، فجمهور المحدثين يرون أن الموطأ دون رتبة الصحيحين ، ويذهب الحافظ ابن العربي وجمهور علماء المغرب أن الموطأ مقدم على الصحيحين ، قال ابن العربي في " العارضة" : في الموطأ هو الأصل الأول واللباب ، والبخاري الأصل الثاني في هذا اللباب، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي وقال أيضا في القبس " :" الموطأ هو اول كتاب ألف في شرائع الإسلام ، وهو آخره ، لأنه لم يؤلف مثله ، إذبناه مالك (رحمه الله) على تمهيد الأصول للفروع ، ونبه فيه على معظم أصول الفقه التي ترجع إليها مسائله .." ولأنه أيضا . أي الموطأ . مؤلف في تاريخ الإسلام تناقلته الأجيال منذ تأليفه إلى الأن ثبتت تسميته إلى صاحبه.

وسبب هذا الاختلاف بين العلماء مبني على اختلاف الاعتبارات، فمن نظر إلى اختلاط الأحاديث بالفروع جعله مؤخرا، ومن نظر إلى صحة أسانيد الروايات في الكتاب جعله مقدما.

انكباب أهل المغرب على رواية الموطأ

ذكر القاضي عياض أنه لم يعتن بكتاب من كتب الفقه والحديث اعتناء الناس بالموطأ فإن الموافق والمخالف أجمع على تقديمه وتفضيله وروايته ، وتقديم حديثه وتصحيحه .. هكذا ومع أواخر القرن الثاني الهجري لاح في الأفق ثلة من الفقهاء شكلت الطبقة العلمية الأولى التي اهتمت برواية الموطأ وتفقيهه، وذكر الخشني منهم نحو الثلاثين من المغاربة ، ممن تفقهوا عن مالك مباشرة ورووا عنه.

ومن هؤلاء الرواة الأوائل علي بن زياد (183 هـ) وزياد بن عبد الرحمن القرطبي المعروف بشبطون (ت 193هـ) وهو حسب أرجح الروايات يعتبر أول من أدخل كتاب الموطأ إلى الأندلس ، ويحيى بن يحيى المصمودي (ت 234) الذي تفقه على يد زياد بن عبد الرحمن.

وبعمل هؤلاء وأمثالهم من الرواة الأوائل، وبرزت على الساحة العلمية في الغرب الإسلامي طبقة علمية متميزة ، غير أن مجهودات هؤلاء ظلت في هذه البداية جد محدودة، واستمر الوضع على ذلك إلى أن ادخل أبو ميمونة دارس بن إسماعيل كتاب المدونة إلى المغرب ، وأصبح مدرسا في جامع القرويين بفاس

أشهر روايات الموطأ

يذكر القاضي عياض أن الذي اشتهر من نسخ الموطأ مما رواه أو وقف عليه أو كان في رواية شيوخه ، نحو عشرين نسخة وذكر غيره أنها ثلاثون .. وعد الزرقاني في شرحه على الموطأ نحوا من سبعة عشر راويا . وقد اشتهر من تلك الروايات رواية يحيى ابن يحيى الليثي ، وهي الرواية المعتمدة عند الجمهور أهل المغرب على الخصوص ، وبه انتشرت رواية الموطأ ، وإليه انتهت رئاسة المدرسة المالكية بالغرب الإسلامي ، وخاصة بالأندلس ، بعد عيسى بن دينار الطليطلي.

وسبب ترجيح المغاربة لهذه الرواية على حسب رأي الشيخ ابن عاشور على اعتباره :" أنها أوفى روايات الموطأ بجميع ما كتب مالك، أو بمعظمه، وأكثرها مطابقة لأصل مالك، هو رواية يحيى بن يحيى الليثي ، فإنه لقي مالكا في آخر حياته .

إلى غيرها من الروايات التي عرفها أهل المغرب لكنها أقل شهرة وانتشارا من الروايات التي سلفت ، مثل رواية يحيى بن عبد الله بن بكير القرشي المصري، ورواية محمد بن الحسن الشيباني ، ورواية أبو مصعب وموطأ ابن وهب..

مكانة أهل المغرب الحديثية

اطلع المغاربة على مختلف كتب الحديث منذ وقت مبكر فاهتم المحدثون منهم بجميع كتب السنة واطلعوا عليها.. غير أن غالبية علمائهم وخاصة الفقهاء منهم ركزوا اهتمامهم على الجانب الفقهي من كتاب الموطأ باعتباره عمدة المذهب المالكي وأساسه وهي طائفة المجتهدين في المذهب المالكي والمنظرين الذين اهتموا بتأصيل الأصول وتقعيد القواعد، وبناء الفروع على الأصول.

فاهتم المغاربة بالسنة النبوية رواية ودراية، وساهموا بشكل أو بآخر في تطوير هذا العلم، والمضي به خطوات متتالية قدما إلى الأمام .. وخير دليل على هذا الأمر ظهور ثلة من العلماء منذ عهد مبكر، زمن الأدارسة، برزوا في ميدان علم الحديث، بعد أن عادوا من رحلتهم العلمية المشرقية ، متشبعين بعلم مالك وفقهه ، وكان لهم الشرف الأكبر في الظفر بالروايات الصحيحة عن مالك وغيره .. ذكر منهم صاحب النبوغ المغربي بضعا وثلاثين نفرا، منهم : أبو ميمونة دارس بن إسماعيل الفاسي ، وهو كما أشرنا إلى ذلك سالفا أول من أدخل المدونة للأنحاء المغربية، وأبو جيدة بن أحمد اليزنيسي الفاسي ، وأبو محمد الأصيلي.. وغيرهم من المحدثين المعروفين ، الذين انكبوا على مختلف المصنفات الحديثية : تلقيا ومدارسة وتعليما وحفظا، فكان لهم الفضل الأوفر في ترسيخ أول ركائز المدرسة الحديثية بالمغرب.

نشوء الدراسات الحديثية في الغرب الإسلامي

إذا كانت عناية الفقهاء بالموطأ وبالمذهب المالكي كان قد بدا منذ وقت مبكر ، حيث كانت المادة الحديثية يطغى عليها جانب الفقه أي الراوية الفقهية، فإن الدراسات الحديثية في المقابل لم تعرف نموا في المغرب إلا مع أواخر القرن الرابع.

وهكذا كان علم الحديث في مقدمة العلوم التي اهتم بها أهل المغرب، غير أن عنايتهم بعلم الحديث جاءت متأخرة مقارنة مع غيرها من العلوم الشرعية ، فمدرسة الحديث بالمغرب ازدهرت في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع، علما بأن الحديث دخل أرض المغرب في أواخر القرن الثاني الهجري .. إلا أن أهل المغرب لم تكن لهم في تلك المرحلة عناية بعلم الحديث فضيعوه ، وذلك نظرا لعناية الفقهاء بالفقه والعمل أكثر من اهتمامهم بعلم الحديث وروايته كما المحنا سالفا.

فظلت المجهودات والإسهامات التي قام بها بالأندلس كل من داود بن جعفر بن أبي الصغير من أهل قرطبة ، وصعصعة بن سلام القرطبي الذي يعد أول من أدخل الحديث إلى الأندلس جد محدودة ، ولم تساهم تلك الإسهامات في المضي قدما بعلم الحديث ، وفي ترسيخ مدرسة أثرية في الغرب الإسلامي في وقت متقدم..

ومع بقي بن مخلد ، ومحمد بن وضاح، ومحمد بن عبد السلام الخشني ستشهد المدرسة الحديثية بالأندلس تحولا كبيرا حين ظهر علم الحديث كعلم مستقل، له ضوابطه وقواعده ، ومناهجه وأصوله ، ويرجع إليه الخاصة والعامة . ففي هذه الفترة وجد عدد من أعلام المدرسة الفقهية المالكية توسعوا في معرفة علم الحديث وعلله وجمعوا بينه وبين علم الفقه.

أما في القرن الرابع فقد حققت الدراسات الحديثية قفزة نوعية تجاوزت تلك الدراسات منهج الرواية والتحديث إلى التفقه والدراية، ثم التدوين والتأليف .. ثم الوقوف على العلل والنقد والمقالبة .. وهو ما يعني أن علماء القرن الرابع على الخصوص قد ساهموا بشكل فعال في خدمة الآثار النبوية وأخبارها شارحين ومعللين وموجهين، منهم: سعيد بن عثمان ، وعيسى بن أبي كثير الليثي، وأبو محمد بن إبراهيم الأصيلي الذي أضاف إلى عمل من سبقه عملا جديدا متميزا سماه " الدلائل إلى أمهات المسائل " شرح به الموطأ.

ومع القرن الخامس عرف علم الحديث اهتماما خاصا شرحا ورجالا ورواية، ووقع اهتمام خاص بأحاديث الأحكام ، وبهذه الاجتهادات تكون الدراسات الحديثية قد قطعت أشواطا بعيدة ارتقت دراسة السنة إلى مستوى الخلاف العالي أو ما يعرف بفقه السنة.. ولعل إسهامات ابن عبد البر الأندلسي في هذا الميدان أبرز مثال على ذلك.

خلاصة إن مدرسة الموطأ فقها وحديثا بالمغرب ، كانت بعد القرن الرابع، وقبل القرن الثامن لها مكانة خاصة في اهتمامات علماء المغرب سواء ما تعلق بجانب الإسناد ، أو المتن ، .. ولعل خير دليل على ذلك تلك الإنجازات العلمية الكبيرة التي خدم بها هؤلاء الرواد كتاب الموطأ شرحا وتعليقا وتفسيرا وتوجيها وترتيبا واختصارا وتقييدا..

قضايا مطروحة عند خطباء الجمعة

■ كثير من القضايا الدينية تطرح نفسها على الساحة الدينية، والتي تحتاج إلى دراسة ومعالجة، من طرف فقهاء الاختصاص لإعادة الأمور إلى نصابها والمحافظة على النسيج الاجتماعي تحت وحدة المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والسلوك الصوفي. ومن هذه القضايا المطروحة نذكر:

1. إدعاء البعض عدم التمذهب بمذهب واحد.
2. مسألة سيادة الرسول صلى الله عليه وسلم.
3. مسألة الدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم دبر كل صلاة.
5. مسألة قراءة القرآن جماعة.

هذه القضايا سأحاول استنباط شرعيتها من نصوص اعتمدها فقهاء المذهب المالكي درءا للخلاف، وسعيا لتوحيد الرؤيا على ضوء المذهب المالكي المعروف بالمرونة والوضوح واليسر، وتحقيق ما جري به العمل والذي يتلاءم مع تقاليد المغاربة وحبهم للرسول صلى الله عليه وسلم، وتعلقهم بفقهاء المدينة على مر العصور.منذ أن دخل المذهب المالكي للمغرب على يد دراس في القرن الثالث والرابع الهجري.

ومن القضايا التي أجاب عليها الفقهاء، وهي مشكل الذين ينادون بعدم التمذهب بمذهب واحد وقد رد عن هذه القضية الدكتور محمد رمضان البوطي في كتابه "اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية".

وأخذ المغاربة بالمذهب المالكي يعود لعدة عوامل: لقد نشر الدكتور عباس الجراري موضوعا بين فيه أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب. ومن بين الأسباب نجد أن الحديث النبوي الذي رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم (يوشك أن تضربوا وقال سفيان مرة أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم لايجدون عالما أعلم من عالم أهل المدينة وقال قوم هم العمري قال فقدموا مالك).

واتفق العلماء على أن مالكا هو المراد بعالم المدينة الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم.

فهل يجوز الخروج عن المذهب المالكي وغيره من المذاهب لأخذ الأحكام مباشرة من النصوص؟ لايجوز هذا العمل إلا لمن تكون له أهلية الاجتهاد، فاستنباط الأحكام واستقرائها من النصوص يجب أن تعرف ويعرف الفقيه ماهو قطعي الدلالة، وما هو ظني الدلالة، والناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، فلو ترك المجال لمن هب ودب أن يأخذ الأحكام من النصوص لوجدنا أحدهم يعمل بالنص المنسوخ، ويترك الناسخ ولذلك لايجوز للمقلد أن يترك تقليد أحد الأئمة الأربعة ويأخذ الأحكام من القرآن والسنة فالإمام مالك كما يرى الفقهاء ذكر كثيرا من

■ إعداد الأستاذ: محمد حسني

الحلقة الأولى

الأحاديث ولم يعمل بها فقد روى مالك تسعين حديثا لكنه لم يعمل بها.

ومما يؤخذ على مالك أنه لايأخذ بحديث لم يجر العمل به في عهده صلى الله عليه وسلم وبعده.

التعوذ والبسملة:

من المسائل التي يثار حولها الجدال الآن في المساجد مسألة البسملة والتعوذ أثناء قراءة الفاتحة في الصلاة. فالمذهب المالكي يكره ذلك. ويستدل المالكية على ذلك بحديثين:

الحديث الأول:(حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال حدثني خبيب بن عبد الرحمن عن حفص ابن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت فأتيته فقال ما منعك أن تأتيني قال قلت يارسول الله إني كنت أصلي قال ألم يقل الله عز وجل (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) ثم قال لأعلمنك أعظم سورة في القرآن أو من القرآن قبل أن تخرج من المسجد قال فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قال نعم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته).

الحديث الثاني: روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى : (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال (الرحمن الرحيم)قال الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال (مالك يوم الدين) قال مجدني عبدي وقال مرة فوض إلى عبدي فإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (قال هذا لعبدي ولعبدي ماسأل).

مسألة الدعاء والصلاة على رسول الله بعد الصلاة:

ماأصبحنا نشاهده في مساجدنا الآن أن الكثير من أئمتنا يغادرون المقصورة قبل أداء الدعاء والذي يعتبرونه بدعة، فمن أين جاءوا بالبدعة؟ وفي الحقيقة هناك نصوص تنص على ذلك. وقد رغب الله تعالى في آيات متعددة في الدعاء حيث قال عز من قائل (و قال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين). (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون).

ومن الأحاديث التي تنص على إقامة الدعاء دبر كل صلاة وفي الليل الأخير وأثناء السجود. روى الإمام الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قيل يارسول الله أي الدعاء أسمع، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات). وفي الصلاة على النبي يقول سبحانه وتعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).

فهل الأفضل أن يجلس الناس في المسجد بعد الصلاة للدعاء والاستغفار أم الخروج بسرعة دون تحقيق هذه النتيجة؟

مسألة قراءة القرآن جماعة:

من الأشياء التي طرحت على الساحة الدينية هو ظهور طوائف تدعو إلى عدم قراءة القراءة جماعة ويعتبرونه بدعة.

فإذا عدنا إلى السنة الشريفة نجد أن هناك ترغيبا في الاجتماع لذكر الله وقراءة القرآن فردا أو جماعة.

ومما يؤكد ذلك نستدل بنصوص حديثية:

الحديث الأول: الذي رواه مسلم وأبو داود وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده).

الحديث الثاني: الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) والملأ كما يقول المفسرون هو الاجتماع.

الحديث الثالث: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا، يتتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملئوا مابينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتي قالوا لايا رب قال فكيف لو رأوا جنتي، قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيرونني قالوا من نارك يارب قال وهل رأوا ناري قالوا لا قال، فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم فأعطيتهم ماسألوا وأجرتهم مما استجاروا قال فيقولون رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم قال فيقول وله غفرت، هم القوم لايشقى بهم جليسهم).

الحديث الرابع:

أخرج أبو داود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد اسماعيل ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة).

فهذه كلها أحاديث ترغب الإنسان في قراءة القرآن، وهي وسيلة لتعاهد القرآن حتى لاينفلت من ذاكرة الإنسان. روى الإمام البخاري عن أبي موسى الأشعري عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الابل في عقلها).

والذي رواه الإمام البخاري وأبو داود والترمذي حيث قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

مسألة سيادة الرسول(ﷺ)

فالذين ينكرون سيادة الرسول الله صلى الله عليه وسلم هم المبتدعون، فعندما نعود إلى كتاب الله وسنة رسوله نرى السيادة واجبة في حق الأنبياء والمرسلين وتابعي التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يقول تعالى: في شأن يحيى: (وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين).

وقال في سورة يوسف: (وألفيا سيدها لدا الباب).

وقال في سورة الأحزاب: (وقالوا ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا).

وقد جاء في صحيح مسلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله يقول للعبد يوم القيامة (ألم أكرمك وأسودك) أي أجعلك سيدا.

وكما جاء في صحيح البخاري ومسلم قوله عليه السلام: (أنا سيد القوم يوم القيامة) وفي حديث آخر (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع يوم القيامة ولا فخر).

وهناك حديث يوضح ويعلل بشكل ظاهري سيادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رواه الحاكم في المستدرك بسند صحيح. فعن صابر بن عبد الله قال: (صعد الرسول صلى الله عليه وسلم على المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قال من أنا؟ قلنا رسول الله قال نعم، ولكن من أنا؟ قلنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بنُ هاشم بن عبد مناف قال أنا سيد ولد آدم ولافخر).

من خلال هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يتبين لنا مشروعية سيادة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك تأدبا معه وتقديرا له.

(يتبع.....)

في القول في الملامسة

للفقيه العلامة: محمد بن احمد ابن رشد

■ المعنى في الملامسة الطلب. قال الله عز وجل « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا» سورة الجن /الآية :8، أي طلبنا السماء وأردناها فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا أي حفظة يحفظونها . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل سأله أن يزوجه المرأة التي وهبت نفسها للنبي عليه الصلاة والسلام « هل معك شيء تصدقها قال ما عندي إلا إزاري هذا . قال فإن أعطيتها إزارك جلست لاإزار لك فالتمس شيئا أي اطلب قال ما أجد شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيئا .

فصل

فلا يقال لمن مس شيئا قد لمسه إلا أن يكون مسه ابتغاء معنى يطلب من حرارة أو برودة أو صلابة أو رخاوة أو علم حقيقة . قال الله عز وجل « ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين « ألا ترى أنه يقال تماس الحجران ولا يقال تلامس الحجران لما كانت الإرادة والطلب مستحيلة عليهما.

فصل

فلما كان المعنى المقصود من مس النساء الالتذاذ بهن علم أن معنى قول الله عز وجل« أو لامستم النساء» هو اللمس الذي يبتغى به اللذة دون ماسواه من المعاني.

وقد اختلف في قول الله تعالى « أو لامستم النساء « فقيل المراد بذلك الجماع روي ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وهو قول عبد الله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، روي أن عبيد بن عمير وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح اختلفوا في الملامسة ، فقال سعيد وعطاء هو اللمس والغمز ، وقال عبيد ابن عمير هو النكاح ، فخرج عليهم ابن عباس وهم كذلك فسألوه وأخبروه بما قالوا فقال أخطأ المولیان وأصاب العربي، هو الجماع ولكن الله يعف ويكفي وهومحفوظ عن ابن عباس من وجوه كثيرة . روي عنه أنه قال ما أبالي قبلت امراتي أو شممت ريحانة. وإلى هذا ذهب أهل العراق وحجتهم ما روي عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ثم يخرج إلى الصلاة فلا يتوضأ . وقوله تعالى (أو لامستم النساء) قالوا فالملامسة مفاعلة من اثنين فلا يكون إلا الجماع ، وقيل إن المراد به ما دون الجماع من القبلة والمباشرة واللمس، وهو قول عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود، وتأول إسماعيل القاضي مثله على عمر بن الخطاب في قوله إن الجنب لا يتيمم ، وقال به جماعة من التابعين ، وإليه ذهب مالك وأصحابه والدليل على ذلك أن الله عز وجل قد ذكر في أول الآية« وإن كنتم جنبا فاطهروا « فلو كان معنى أو لامستم النساء الجماع لكان مكررا لغيرفائدة ولا معنى. ودليل آخر وهو أن لفظ الملامسة حقيقة في اللمس باليد ومجاز في الوطء، وحمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز . ودليل ثالث وهو أن الملامسة واقعة على التقاء البشرتين ، فإذا كانت كذلك لم يخل اللمس باليد من أن يكون أولى بإطلاق هذا الإسم عليه من الجماع فيقتصر عليه ، أو أن يكون هو غيره من أنواعها سواء فيجب حمل الظاهر على عمومه في كل ما يقع عليه الاسم، ولأن الآية قد قرئت أو لمستم النساء، ولا خلاف أن ذلك لغير اللمس باليد فصح ما ذهب إليه مالك رحمه الله.

فصل

فإذا ثبت أن الملامسة ما دون الجماع من القبلة والمباشرة واللمس باليد فلا يخلو ذلك من أربعة أوجه: أحدها أن يقصد بهذه الأشياء إلى التذاذ فيلتذ والثاني أن لا يقصد بها إلى الالتذاذ ولا يلتذ، والثالث أن يقصد بها إلى الالتذاذ فلا يلتذ والرابع أن يقصد بها إلى الالتذاذ فيلتذ.

فصل

فأما الوجه الأول وهو أن يقصد بها إلى الالتذاذ فيلتذ فلا خلاف عندها في إيجاد الوضوء لوجود الملامسة التي سماها الله ووجود معناها وهو الالتذاذ.

وأما الوجه الثاني : وهو أن لا يقصد بها إلى الالتذاذ ولا يلتذ فتفترق فيه القبلة من المباشرة واللمس ، فأما المباشرة واللمس فلا يجب عليه فيهما وضوء إذا لم يلامس اللمس الذي عناه الله تعالى: بقوله« أو لامستم النساء» ولا وجد معنا. وأما القبلة فاختلف فيها على قولين: أحدهما إيجاب الوضوء منها وهي رواية أشهب عن مالك وقول أصبغ ودليل المدونة . وعلة ذلك أن القبلة لا تنفك من اللذة إلا أن تكون صبية صغيرة فيقبلها على سبيل الرحمة أو ذات محرم فيقبلها على سبيل الوداع أو ما أشبه ذلك . والثاني أن لا وضوء منها كالملامسة والمباشرة وهو قول مطرف وابن الماجشون وغيرهما.

وأما الوجه الثالث وهو أن يقصد بها إلى اللذة فلايلتذ ففي ذلك اختلاف . روى عيسى عن ابن القاسم أن عليه الوضوء، وهو ظاهر ما في المدونة ، والعلة في ذلك وقوع الملامسة التي عناها الله تعالى بقوله« أو لامستم النساء» وهي الملامسة ابتغاء اللذة على ما بيناه . فإذا ابتغاها بلمسه وجب عليه الوضوء وجدها أو لم يجدها على ظاهر القرآن إذ لم يشترط في الملامسة وجود لذة، واعتل في الرواية بأنه لم تكن كائنة عن اللمس وموجودة به فلا معنى للاعتبار بها ، وروى أشهب عن مالك أنه لا وضوء عليه .ووجه ذلك أن المعنى في إيجاب الملامسة الوضوء اقتران اللذة بها فإن عدمت لم يجب الوضوء ، وهذا الاختلاف فيما عدا القبلة . وأما القبلة فإنها توجب الوضوء إذا قصد بها اللذة وإن لم يلتذ لا أعرف في المذهب نصا خلاف ذلك ، ولا يبعد دخول الاختلاف فيه بالمعنى.

وأما الوجه الرابع: وهو أن لا يقصد بها إلى اللذة فيلتذ فهذا لا اختلاف فيه في المذهب إنه يوجب الوضوء لأنه وجد معنى الملامسة ، والأحكام إنما هي للمعاني.

فصل

وسواء على مذهب مالك كانت الملامسة على ثوب أو على غير ثوب إلا أن يكون الثوب كثيفا ، روى ذلك علي بن زياد عن مالك، وهو مفسر لجميع الروايات عندي.

فصل

وهذا التفضيل كله في اللامس . وأما الملموس فإن التذ وجب عليه الوضوء ، وإن لم يلتذ فلا وضوء عليه ، هذا تحصيل مذهب مالك . والشافعي يوجب الوضوء على اللامس إذا لمس على غير حائل قصد بلمسه اللذة أو لم يقصدها وجدها أو لم يجدها ، وله في الملموس قولان أحدهما كقول مالك ، والثاني أنه لا وضوء عليه . وحجته في ذ لك حديث عائشة فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتمسته فوقعت يدي على باطن قدميه وهو يصلي .

انظر المقدمات الممهدات

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

يوم قال ابن خلدون إن العرب أبعد الناس عن الصنائع

■ من الأفكار التي استوقفتني وأنا أهم بكتابة التأملات والخواطر ما جاء في الجزء الأول من كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر" للعلامة عبد الرحمان بن خلدون المغربي ما جاء في فصل يقول فيه : أن العرب أبعد الناس عن الصنائع معللا ذلك بأنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعو إليه من الصنائع وغيرها. والعجم وأمم النصرانية أقوم الناس عليها لأنهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه، ويشيد بأمهات الصنائع قائلا: اعلم أن الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران، فهي بحيث تشد عن الحصر ولا يأخذها العد.

هذه الأفكار من العالم الاجتماعي الرائد ابن خلدون حفزتني إلى الكتابة عن ماآلت إليه أمتنا العربية الإسلامية من ضعف وجهل وفقر نتيجة تخلفها وتأخرها عن السير في موكب الحضارة العالمية، فقد تغلب الغرب على هذه الأمة بالتخطيط والتنظيم ، وتكمن أسباب تقدمه وازدهاره سعيه الحثيث في التزود بالعلوم التجريبية والتفوق فيها مستغلا ذلك الثرات العلمي النادر الذي خلفه الحكماء، والعلماء العرب المسلمون أمثال ابن سينا والجبروتي والبيروني وابن الهيثم والخوارزمي ، فهذا الخلل والعجز في التخطيط والتنظيم كان من أشد الأسباب في تخلف الأمة وتقهقرها أمام الغرب المتقدم الصاعد ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح النجاح حليفا للغرب في مجهوداته للغلبة على أمة العرب والإسلام التي وقفت عاجزة أمام زحف الاستعمار على العالم الإسلامي فاحتل بالحديد والنار شعوبا وممالك إسلامية في إفريقيا وآسيا وغيرها من بلدان المسلمين مستغلا مواردها ومعادنها ومحتكرا فيها تجارة الرقيق، وابعدها عن منابع القوة ، وأحدث فيها الشعور بمركب النقص والانهزامية ، وسلب منها قوة التصرف والانطلاقة وبناء صرحها من جديد ، بل زادها اتكالا على الغرب وخضوعا لهيمنته.

ومع شديد الأسف والألم أن الطبقة المتعلمة في دول الإسلام تبنت غالبيتها سلوكيات الغرب بعد أن ارتمت في أحضان التعليم الغربية، ومن الغرب تلقت التوجيه ، لكنها لم تستفد من الغرب بما استفاد به في مسيرة تقدمه من تخطيط لائق وتنظيم محكم ، فقط استطاعت أن تنهل من فتات الغرب ببعض العلوم الاستهلاكية التي لا تسهم في بناء الصناعة الميكانيكية والتكنولوجية فنشأت فيها نفسية مركب النقص ونفسية الجبن أمام العقلية الاستعمارية، وأصبحت مناهج التعليم تقريبا هي المناهج الغربية وإن طبيعة العلوم والآداب هي نفس طبيعتها السالدة في الغرب والجيل الناشئ الذي يمر من هذه المناهج ينمو وينشأ على غرار الجيل الناشئ في الغرب، وإن طبيعة النظر إلى الكون والحياة والانسان وإن كانت تنبع من منبع عقدي وديني وسلوكي في الحياة فهي نصالح صياغة غربية محضة ، ينطبق على ذلك ما ورد في الحديث الشريف " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، فالطفل المسلم يولد على أصالته ، ولكن أحضان التعليم والتربية الغربية تصنعه رجلا مطبوعا على النفعية المادية وعلى الانبهار أمام الحضارة الغربية.

وقد حاولت بعض الدول العربية والإسلامية الاقتداء بالأمم الصناعية المتقدمة فأرسلت خيرة شبابها وأبنالها إلى معاهد العلم، للتزود بالمعرفة والتكنولوجية، لكن هذه المحاولة وجهت وأحبطت في السنوات الأخيرة، وتمت التصفية الجسدية لكثير من العلماء العرب والمسلمين المتخصصين في علوم الذرة والكمياء على أيدي عصابات الإجرام الصهيونية في فلسطين والعراق وغيرها من البلدان الإسلامية ، وكالوا التهم الزائفة للإسلام ، وقالوا إن الإسلام والإرهاب شيء واحد مع أن الإسلام دين الرحمة والسلام يأمر بعدم الإكراه في الدين وبالتسامح ، وقد شهد شاهد من أهلها أخيرا الباحث الأمريكي " ما يكل وولف" في خطاب له : إن الإسلام سيكون دينا لأهل الولايات المتحدة، مشيرا إلى أن الإسلام والمثل الأمريكية توجد بينهما علاقة وثيقة وانسجام عميق لأن الإسلام دين التوحيد يحمل في تعاليمه روحا ديمقراطية ، وقيما رائعة خلابة.

حكم استثمار أموال الزكاة ومقاصده وتطبيقاته

■ إعداد الأستاذ: محمد الحفظاوي

■ الحمد لله مالك الملك ، الذي استخلف الإنسان لعمارة الأرض بفضائل الخيرات ، ومنها فضيلة الإنفاق، التي قال فيها عز وجل :(آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) سورة الحديد / الآية 7، وجعل جزاء من يجمع بين الإنفاق والإيمان الأجر الكبير، بقوله سبحانه وتعالى:« فالذين آمنوا منكم ، وأنفقوا لهم أجر كبير » سورة الحديد. والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ، وعلى آله وأصحابه المهتدين وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن التشريع الإسلامي عامة بما فيه التشريع المالي، إنما جاء ليسعد الناس ويضبط حياتهم بنظام يقوم على العدل والرشاد ، فيجلب لهم المصالح ويدرء عنهم المفاسد ، ومن عناصر هذا النظام الجانب المالي الذي اعتنى به الإسلام ، وجعله مقصدا ضروريا من مقاصده الشرعية وكلية أساسية من كلياته الخمس ، التي يتجه قصد الشارع لإقامتها وتحقيقها في حياة الناس ورعايتها وصونها ، وتنميتها بتشريعات خاصة كزكاة الأموال ، التي تعد ثالث قواعد الإسلام وفريضة من فرائضه ، أوجبها الله تعالى شكرا للنعمة على الأغنياء وسدا لخلة الفقراء ، وطهرة وزكاة ، وتقوية لنظام الأمة.

ولئن كان الإنفاق في جميع وجوه الخير وسبل الإحسان بما فيه الزكاة ، مطلبا من مطالب الإسلام ، حضت عليه آيات جمة من الكتاب العزيز، وتظافرت على العناية به أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن الزكاة لم تعط حقها من الاهتمام باعتبارها إحدى وشائج النسيج الاجتماعي المتآلف في المجتمع الإسلامي، منذ توقف العمل بها بالعالم الإسلامي عامة وببلدنا خاصة ، حيث كان هذا الركن من شعائر الإيمان والإسلام معمولا به فقد (بدأ تطبيق الزكاة بالمغرب مع الفتح الإسلامي ، وبداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، وظلت الدولة تجمعها وتوزعها حتى 1319هـ 1901م عندها أعطى التغريب بالعالم الإسلامي إحدى نتائجه.

لكن يبدو أن الرجعة لذلك الحلم أضحت أملا يداعب نفوس المؤمنين بعد قيام مجامع فقهية وجمعيات شرعية بإثارة هذا الموضوع نظريا وعمليا ، وقيام مؤسسات في بعض الأقطار الإسلامية بتنظيم هذا الركن الإسلامي العظيم . لكن البحث النظري والتطبيق العملي مازالا يظهران الكثير من القضايا المعاصرة ، التي تحتاج إلى اجتهاد شرعي متميز يلبي حاجات المسلمين ويستجيب لتطلعاتهم مع الإبقاء على تطبيق الزكاة ملتزما بأصول الشرع وقواعده، ومن هذه القضايا مشكلة استثمار أموال الزكاة.

أولا مفهوم استثمار أموال الزكاة: ومقاصده

1. مفهوم استثمار أموال الزكاة.

تعريف الاستثمار

المعنى اللغوي للفظ ثمر يفيد معاني الزيادة والكثرة والتولد والنماء وبزيادة الألف والسين والتاء التي تفيد الطلب ، تعني كلمة (الاستثمار : طلب الحصول على الثمرة، فاستثمار المال هو طلب الحصول على الأرباح، وعند الفقهاء ورد المعنى باصطلاح (التثمير) في أبواب مالية كالقراض والمضاربة والمرابحة. وكلمة استثمار في علم الاقتصاد لا تخرج من المعنى اللغوي والفقهي السابق ، لأنه يقصد بها " اي زيادة او إضافة جديدة في ثروة المجتمع مثل إقامة المصانع والمزارع والمباني والطرق وغيرها من المشروعات التي تعد تكثيرا للرصيد الاقتصادي للمجتمع .

ب تعريف الأموال:

المال في اللغة كما قال ابن منظور :" ما ملكته من جميع الأشياء .. وهو يتراوح في التعريف اللغوي بين التخصيص والتعميم فتارة يخصص بالذهب والفضة، وتارة يعم كل ما يقتنى ويملك من الأعيان ، وأخرى ينحصر في أشياء معينة كالإبل والبقر والخيل والشجر. والمال في الاصطلاح الفقهي له عدة تعاريف بحسب المذاهب ، ويمكن ان نخلص في تعريف المال إلى تعريف جامع فنقول:" إن المال شرعا هو كل ما فيه منفعة مقصودة مباحة شرعا لغير حاجة أو ضرورة وله قيمة مادية بين الناس" إلا أن المقصود في باب الزكاة ليس المال على إطلاقه بل لقد حدد الشارع أنواعا خاصة تخرج منها الزكاة وهي المال النامي من عين وماشية وحبوب وثمار وعروض تجارة وغيرها ، وما استجد في هذا الزمان.

ج . معنى الزكاة.

الزكاة شعيرة من شعائر الإسلام كالصلاة والصوم والحج والجهاد ، ولها في اللغة معان متعددة ، تدور حول دلالات الطهارة والنماء والبركة والمدح.

وقد عرف الفقهاء الزكاة بتعريفات متقاربة تجتمع في معنى الجزء المقدر من المال الذي فرضه الله حقا للمستحقين أو فعل الإيتاء وأداء الحق الواجب في المال .

د . مفهوم استثمار أموال الزكاة:

بناء على ما سبق فالمقصود باستثمار اموال الزكاةفي هذا البحث ، هو العمل على تنمية وتثمير أموال الزكاة بأي صيغة من صيغ الاستثمار المشروعة، لتحقيق مصالح للمستحقين . وهذه المصالح هي المقصودة في المبحث الموالي المتعلق بمقاصد استثمار أموال الزكاة:

تعريف المقاصد:

مادة(قصد) في اللغة لها معان متعددة أهمها:

. إتيان الشيء وأمه والتوجه إليه.

الاستقامة والاعتدال والعدل.

وهذه المعاني تدخل في التعريف الاصطلاحي لمصطلح المقاصد من جهتين ، من جهة الشارع ومن جهة المكلف ، وهي في الاصطلاح كما عرفها الأستاذ علال الفاسي، الغايات التي وضعت الشريعة لأجلها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها ، وهي تنقسم كما ذكر ذلك الطاهر بن عاشور إلى مقاصد عامة ومقاصد خاصة ، من هنا يمكن القول إن مقاصد استثمار أموال الزكاة تنقسم بدورها إلى قسمين مقاصد عامة ومقاصد خاصة.

أهم مقاصد استثمار أموال الزكاة

إن مقاصد استثمار أموال الزكاة لاتخرج عن نفس مقاصد الزكاة ، بل تزيدها عمقا وتعطيها امتداد واقعيا في الزمان والمكان ، وتبدو أهمية تجلية البعد المقاصدي هاهنا في كون العلل والمقاصد من المسالك الموصلة إلى الحكم الشرعي ، فمقاصد الزكاة العامة تنحصر في مقصدين كبيرين هما:

1. الاغناء . 2. وحفظ نظام الأمة. وتندرج تحتهما مقاصد خاصة عديدة.

اولا . مقصد الإغناء : الزكاة حكم شرعي تكليفي إلزامي ، مغيا بغاية مرسومة ومحددة شرعا ، يلزم المكلف الاتجاه إليها، وهي رفع وصف الحاجة والفاقة عند الإنسان وإغنائه بإشباع حاجاته على اختلاف أنواعها، ويتجلى مقصد الإغناء من خلال القرآن الكريم والسنة وأعمال السلف.

ففي القرآن الكريم نجد تشريع الإسلام الإنفاق وترتيبه على أوصاف محددة وعلى رأسها الفقر والمسكنة، مما يدل على أن قصد الشارع هو دفعها ورفعها. يقول تعالى :" إنما الصدقات للفقراء والمساكين....»

وفي الحديث لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن ، قال له:« إن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم».

وهذا المعنى هو الذي سار عليه السلف، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوجه عماله إلى هذا المقصد بقوله لهم :«إذا أعطيتم فأغنوا» إذن هذا شأن الزكاة ابتداء، أما الاستثمار فإنه يعمل على تفعيل هذا المقصد بإعطائه أبعادا زمانية ومكانية واقتصادية كبيرة ، لأن الزكاة هنا تلعب دور الممول لكل ذي تجارة أو حرفة أو أي خبرة مهنية منتجة ليبدأ ويستأنف مشروعه الاقتصادي الذي يغنيه عن الخلق.

وهكذا يتحقق هذا المقصد العام للزكاة بأمرين : بالصرف الاستهلاكي والصرف الاستثماري .

ثانيا . مقصد تقوية نظام الأمة: هذا المقصد العام للزكاة يتحقق باستثمار أموال الزكاة تحققا فعالا بواسطة مقاصد خاصة نذكر منها ما يلي :

حفظ الأموال ونماؤها

إذا كانت الزكاة عاملا كبيرا من عوامل حفظ مال الأمة من مخاطر الاكتناز والنقصان ، لأنها تعمل على رواج المال بالحض على استثمار الثروة حتى لا تتآكل بفعل التناقص المستمر الناتج عن أداء الزكاة ، فإن في استثمار جزء من رصيد مال الزكاة حفظ ونماء له أيضا ، ذلك أن المشاريع الاقتصادية الاستثمارية كالقراض والمرابحة والتجارة ، تدر أرباحا على أصحابها فيحفظ رأس المال ويزداد رصيده وينمو رأسمال الزكاة تتسع دائرة المستفيدين مما يشيع اليسر والرخاء بين الأفراد فيؤهلهم هذا الوضع للانطلاق في مواهبهم الخيرة للمشاركة في التنمية المادية والمعنوية لمجتمعهم وتحقيق رسالتهم.

توفير فرص العمل:

حث الإسلام على العمل وربط به كرامة الإنسان وشأنه عند الله، وقاوم البطالة وحذر من المسألة، ودفع الإنسان إلى توظيف المال في مشاريع الاستثمار المباحة ، كالمضاربة والسلم والمقايضة ، والإجارة وأنواع الشركات، كشركات العنان وشركة الأبدان ، لذلك فاستثمار أموال الزكاة يتوافق مع مقصد الشرع هذا، لتوفيره فرص العمل لعدد من المشرفين على عمليات الاستثمار وإيجاد الشغل لكثير من العاطلين عن العمل، بإيجاد مؤسسات اقتصادية تستوعب العاملين والعاطلين والمستحقين عموما.

3 . إقامة قاعدة تمويلية للجهاد الشامل.

إن من مقاصد الزكاة العليا إعزاز الإسلام وتقويته وبث العلم في كل ربوعه ، لأن سبيل التمكين للأمة واحتلالها موقع الشهادة والريادة ، رهين بمدى توفرها على ثلاثية : القوة والعزة والعلم والتي بفقد واحدة منها تصبح الأمة في ذيل القافلة بالنسبة لأمم العالم الأخرى، كما هو حاصل اليوم حيث وصلت الأمة إلى درجة سفلى من التخلف والانحطاط الحضاري يغري أعداءها ويجعل أقواما كبني إسرائيل يستخفون بها ويسومون بعض أبنائها سوء العذاب. لذلك تسعى الزكاة إلى جانب التشريعات والأدوات التمويلية الأخرى إلى تحقيق معادلة النهوض الحضاري ، من هنا فإن الزكاة وبطريق الاستثمار لأموالها تخدم مقصد حفظ نظام الأمة وتقويه ، بتوفير رصيد مالي متجدد لمصرف في سبيل الله ، بمفهومه الواسع، جهادا بالسلاح المادي والمعنوي، عملا بمقتضى قوله تعالى:« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) سورة الأنفال / الآية :60 والقوة كما جاء في النص مطلقة ، فهي تشمل كل ألوان القوة التي تؤهل وتزيد من قدرة الأمة على حمل رسالتها إلى كل العالم بعدما تكون قد حافظت على بناياتها ونظامها العام ، وجماع القول في الموضوع ." أن الله جعل الصدقة في معنيين أحدهما : سد خلة المسلمين ، والثاني معونة الإسلام وتقويته.

العلم الإلهي الأول علم الساعة

« إن الله عنده علم الساعة »

■ إعداد الدكتور / إدريس خرشاف

■ إن المتدبر في الآية الكريمة ، يجد أن فعل رب العالمين وعلمه معروض بصورة تجريبية ، تتحدى عقل البشر في الزمان والمكان، وتجعل الإنسان عاجزا على الخوض في هذا الميدان ، فما هو ياترى معنى « إن الله عنده علم الساعة، سورة لقمان / الآية:34.

تعريف إن الساعة عبارة عن كلمة تدل على جزء من الزمان غير المحدود ، أما إطلاقا ، فإنها تمثل الوقت الذي يتواجد فيه الإنسان والذي يطلق عليه اسم « الآن».

أما في القرآن فقد أطلقت معرفة على القيامة، إنها لحظة انكماش الكون BIG CRUNCH، حينما تنشق السماء .

وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في ستة وثلاثين موضعا ، منها وردت في نفس الآية هي:

« ويوم تقوم الساعة، يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » سورة الروم / الآية: 55.

«يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي » سورة الأعراف / الآية :187.

« بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر» سورة القمر / الآية: 46.

علم الساعة : أما علمها ، فإنه مهما حاول الإنسان صياغة النماذج الكونية ، فسوف لا يملك وسيلة التعرف على نهاية الكون، مصداقا لقوله تعالى:« يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة، سورة الأعراف / الآية187.

كما يقول معلمنا الأكبر محمد صلى الله عليه وسلم « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » إلا أن الحق سبحانه وتعالى فتح لنا باب من أبواب علمه حتى يوجهنا إلى شرط الساعة ، وذلك من خلال الحديث النبوي الشريف ، حيث يقول:

1. « أن تلد الأمة ربتها»

2. وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان»

ثم يقول في حديث آخر ، عن أبي هريرة رضي الله عنه:

«أن يرفع العلم، ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ، ويقل الرجال وتكثر النساء ويتقارب الزمان وينقص العلم ، ويلقى الشح ، وتظهر الفتن ويكثر الهرج القتل » رواه البخاري

أبحاث العلماء:

لقد حاول بعض الباحثين القيام بدراسة أشكال الحياة السابقة، وإسقاط ذلك على المستقبل لمعرفة ما سيجري في الاتجاه المقبل، وما يمكننا أن نعلم عن أفق المستقبل ، وذلك بعملية ربط كوكب الأرض بحياة الشمس.

ولقد تبين لدى علماء الفضاء أن ستة مليارات سنة (حسب زعمهم) هو ما يتبقى للأرض المأهولة ، وقد ربطوا ذلك بقوة الشمس التي وصلت إلى مرحلة النضج بعد ستة مليارات من السنين.

ففي هذه الحالة ، يجري استهلاك الهيدروجين بسرعة هائلة ، تصل الشمس عندها إلى مرحلة العملاق الأحمر حيث يبتدئ احتراق الهيليوم (الذي هو بقايا احتراق الهيدروجين)، تنتقل الشمس وقتئذ إلى صنف النجوم العملاقة ، حيث يسود تطور الشمس ريح شمسية تتمثل بفقدان هائل للكتلة ، وتنهي الشمس تطورها إلى أن تصبح نجما قزما أسود.

فالرياح الشمسية سوف تصيب الأرض (حسب رأي العلماء) ، مما سيؤدي إلى حدوث الانهيار الأعظم.

بالإضافة لكل هذا ، هناك أفكار تدور حول معرفة طبيعة الكون وسيرته الحياتية من تمدد (EXPANSION) وانكماش، إذ طرحت على علماء الفيزياء الكونية عدة تساؤلات من بينها:

هل من المؤكد أن يستمر الكون في التمدد إلى ما لانهاية؟

وقد لاحظوا أن تمدد الكون يتم بعكس جاذبية الثقالة الكلية لمادة الكون ، وهذا يؤدي (من المنطقي) إلى تباطؤ الكون وتواتره من جهة ، وتناقص الجاذبية كلما كبر الكون من جهة ثانية.

ولقد تولدت من هذه الأفكار مدارس كثيرة ، منها ما طرحت فكرة ولادة الكون منذ ما يقارب 1520 مليار سنة . حيث كانت للكون أبعاد ميكروسكوبية)، مما جعل وضعه الحالي توسيعا في جميع الاتجاهات ، وهو ما يعرف حاليا في النظرية العامة النسبية بفرضية كروية الكون ، وأنه في جميع الاتجاهات.

وهناك مدارس أخرى تؤكد وجود كون متأرجح ، إذ تؤكد نظرية بداية الكون من نقطة واحدة ، أنها انفجرت منذ ما يقارب 15 مليار سنة، وظل هذا الكون في تمدد وانتشار ، ثم سيتحول بعدها إلى وضعية الانكماش ليعود كما بدأ ، ثم تنفجر النقطة المادية من جديد لتنطلق نفس الرحلة وهكذا يفترض البرت أينشتاين أن الكون لا يظل على حجم ثابت ، وإنما يتمدد وينكمش ، هذا التمدد والانكماش يكون على مستوى المسافات ، وليس على مستوى الأجرام السماوية.

أما الدراسة الثالثة ، فتؤكد وجود كون لا بداية له ولا نهاية ، وتعرف بنظرية الحالة الثابتة Steady State ، ومن زعماء هذه المدرسة ، الفلاسفة اليونان.

بجانب هذه المدارس ، هناك من يشترك مع فكرة المدرسة الأولى ويؤديها في الانطلاق، ويختلف معها في فكرة النهاية ، هذه الفكرة هي التي تعرف بنظرية الكون المفتوح (Univers ouvert)

فما أكثر النظريات والمدارس التي تتطرق لموضوع الكون، والتي إن دلت على شيء ، فإنما تدل على عجز الإنسان لاتخاذ قرار موحد وشفاف من جهة ، وعلى معرفة طبيعية بناء الكون وفضائه الشاسع المرئي واللامرئي من جهة ثانية.

أما المدرسة الإسلامية ، فإنها توضح لنا ما هو ثابت وليس بالفرضيات ، لأن احب المدرسة هو صاحب هذا الكون اللامتناهي في الكبر.

فعن معلمنا ، رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي لا ينطق عن الهوى ، يشرح لنا حال الساعة في ومضات عابرة إذ يقول :« من سره أن ينظر إلى يوم القيامة ، فليقرأ:

.« إذا الشمس كورت»

.« إذا السماء انفطرت »

.« إذا السماء انشقت»

وإذا كنا قد أدركنا أن وضعيتنا الحياتية لا يمكن تمثيلها هندسيا داخل هذه المنظومة الكونية. فعلينا أن نسلم بما تمليه علينا المدرسة الإسلامية، لأنها الفضاء الحقيقي لكل العلوم من جهة، ولأنها المنبع الذي لا تنقضي عطاءاته من جهة أخرى ، وتبقى الآية الكريمة « إذا الشمس كورت ، تشكل أرضية المسلم العقلانية أمام الآية الكريمة الخالدة،

وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» سورة الإسراء 85.

وتبقى ساعة النهاية في علم الغيب الإلهي، لأن هذا العلم يحتاج لأدوات ليست في ملك المخلوقات سواء في الحاضر أو المستقبل.

كتاب صدر

■ أصدرت دار الحديث الحسنية العدد الأول من مجلتها " الواضحة" تضمنت أبحاثا ودراسات قيمة ومنوعة يدور محورها حول التكوين في مؤسسات الدراسات الإسلامية . شارك فيه السادة: إبراهيم حركات وأحمد الخمليشي وأحمد الريسوني والحسين آيت سعيد وجميل مبارك وعبد الحميد عشاق ومحمد بلبشير الحسيني ومحمد الكتاني

إضافة إلى مقالات حول العوائد في فقه الشافعي والتأويل المصلحي والتجديد في علم أصول الفقه.

وقد تفضل فضيلة الدكتور أحمد الخمليشي بصفته مديرا لدار الحديث الحسنية بتقديم مختصر علل فيه سبب تغيير الاسم بقوله:« نود أن تتصف المجلة بالوضوح في أداء رسالتها في الرؤية والأفكار والحوار من أجل تغيير ثقافة التقليد والخمول في الفكر ، والانتقال إلى إرشاد الأمة ودفعها إلى الخلق والبناء لاستعادة وجودها الذي تنازع عليه اليوم بما لم يسبق له مثيل».

تحليل هدية ابن منصور الحوتي للشيخ ابن يجبش التازي

■ د. ربيعة بنويس -كلية الآداب والعلوم الإنسانية -القنيطرة

الحلقة الرابعة

الزهد والحب الإلهي

قالت : نعم والله لقد أوضحت السبيل، فأنت والله نعم الدليل ، لقد أعطيت كل واحد من القسمين حقه، ووفيته من الإجلال ما استحقه ، وأشرت إلى أحوال سنية ، وأفعال زكية ، لا يثبت عليها إلا من ساعده مولاه ، وأعانه على ما أولاه ، فنحب من كمال فضلك تكميل ما بدأته من حسن قولك ، لأني فهمت من خطابك ، وتلمحت من تفصيل جوابك إرادة التغافل عن ذكر أحوال العوام ازدراء لهم ،إذ هو مجبولون على سفاهة الأحلام ، فكيف ينبغي لك احتقارهم ، وأنت تعلم أين يكون قرارهم؟ فلعل أحدا يرزق صدق الإنابة ، وتفتح لهم أبواب الإجابة ، وأيضا ففيه آثار الرحمة الإلهية والشفاعة المحمدية.

فقلت : قد قرب أن يفتح لك أسباب الفهم، لكن لم يلز مغمورا بسحائب الوهم، وقد نهي عن سوء الظن فإنه أكذب الحديث. وقال تعالى:«إن بعض الظن إثم » سورة الحجرات / الآية12.

قالت : فما وجه ما حكى أبو نعيم بن مطرف بن عبد الله قال :«احترزوا من الناس بسوء الظن، فلعله رخصة من باب الفضل والمن.

فقلت : إنما قصد والله أعلم الاحتراز من مجهول الحال، لاسيما إن ظهر لجانب المخالفة انتصال ، ليكون من أمره على احتفال . ويؤيده ما حكي عن الشيخ الولي التقي الزكي الذي كان كثير التقصي في اتباع السنة مباشر، سيدي الحاج ابن عاشر أفاض الله علينا من بركاته حين سأله بعض أصحابه الأخيار ، أنه لقي في بعض الأسفار بعض المجهولين من الخطار، فوضع يده على سيفه وأساء بهم الظن لأجل خوفه ، فقال ، لا يقال فيمن يحرز نفسه سوء الظن.

وأما مسألتنا فقد استعجلت علي في القضية، قبل أن تعلمي فيها حقيقة النية، فإني لم أوخر ذكر العوام ازدراء واحتقارا ، بل ليكون لهم تأديبا وازدجارا، وأيضا تقدم ذوي الصدور فيه نجاح للأمور، انظر مسألة تأخير الخبائر عند التشييع، إذ هو أبلغ في قلوب التشفيع.

ومسألة العوام لا ينبغي لعاقل أن يطيل فيها الكلام ، لأن كل واحد منهم يظهر له في عقله أنه لم يلحقه في كيسه ونبله ، كيف والنبي صلى الله عليه وسلم قال:« الكيس من دنا نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع هواها ويمني على الله » وتراهم يمدح بعضهم بعضا ، ولا يظهر له ما عليه من قبائح المعاصي بغضا، بل تواطأوا عليها، وتراكموا بكميتهم إليها، ولم يبالوا بما ارتكبوا من الحرام ، ولا من أين جمعوا ما فتنوا به من حطام، وبلغ جهلهم أن يقولوا فلان من البلد وفلان والله نعم الولد، وهو لا يحسن شيئا من أمور الدين ، وليس عنده وذق درة من اليقين، إلا أنه تزين بك على رأسه ، فانتظر بعض أترابه من أبناء جنسه ، لاسيما إذا أنشدهم ذينك البيتين، وبيديه نظار أو لجين ، فكيف يليق لباسك بمن هذه حاله، وقد شهدت عليه أقواله وأفعاله ، إلا أن يمن عليه الكريم المنان بالتوبة النصوح ، ولم يبق له من المعصية ميل ولا جنوح ، ويفتح له مما فتح لأهل الخير، ويقطع عن قلبه الالتفات للغير ، ويندم على ما قدم، ويقرع عليه السن من الندم، فيوجب له ذلك قوة اجتهاد، حتى لا يكون على شيء من أعماله اعتماد ، مخالفة أن يعود لشيء من قبائح أفعاله ، ورديء أحواله، ثم لا يزال مرتقيا في رفيع المقامات ، وفي كل حين يرد عليه من نفحات المزيد أمارات وعلامات ، فربما عكس ذلك القول الأول الذي صدر منه حين كان قلبه عن الحقيقة محول ، لتأوله عن منهج أهل التحقيق ، فيجذبه إعانة على سلوك الطريق فيكون معنى قوله:

« أين من يقطع الزمان بأنس»

تحريضا لإخوانه من أهل البداية، ومن كان مثله فيما سلف من الغواية، على وجوههم للطريق ، وقطع ما بقي من زمانهم بعهد وثيق، لتأنس نفوسهم بطاعة الملك الحق ، وتجتهد في التخلص من كل تبعة للخلق ، وقوله: « واجتماع وألفة وسرور»

إشارة لاجتماعهم للمعاونة على الطاعة ، وعدم اختصاص كل واحد بما ملكه من نفقة وبضاعة، إذ به تحصل الألفةالحقيقة التي جاءت عليها بالحظ الأمة المحمدية ، فإذا تحققوا بهذه الأوصاف، وكل واحد آخذ بحظ من التصاف ، فلا تسال عن سرورهم في الدارين ، وما يحصل لهم بسبب اجتماعهم والفهم من قرة العين، دل على ذلك قوله تعالى:«الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، سورة الزخرف / الآية 32، وقوله تعالى: فيما روى عنه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث ذي السند العالي حين يناديهم على رؤوس الأشهاد :«أين المتحابون لجلالي».

وأما قوله : واغتنام الوصال.. إلى آخره ففيه إشارة إلى اتصاله بما يقربه من محبوبه الذي في قربه غاية سؤله ومرغوبه ليلهو عن كل شيء سواه ، حتى لايكون في قلبه إلا إياه مجتهدا في الدوام على ذلك ما بقي من الزمان مع خير السادات من الإخوان الذين أنوار وجوههم كالبدر تلوح، ونفحات روائح معارفهم من قلوبهم تفوح ، لما فعلوا في مجاهدة نفوسهم غاية مداها ، ظهر عليهم سر قوله صلى الله عليه وسلم من أسر سريرة كساه الله رداها، فانظر من سبقت له العناية من مولاه ، ما الذ كلامه وأحلاه ، فقد كان هذا العبد يجد أذيال البطالة في صباه،وهواتف العوالم تنادي عليه، هذا مولاه قد اجتباه ، ولابد له من أن يصير حكيما ، وناصحا عليما، فجملة منهم رضي الله عنهم ، سبقت سابقة الانتقال كالفضيل وأبي عنان ومن أشبههم في حالتهم من تقدم بطالتهم ليلا يئس العاصي، ويستوفي الخوف والرجاء الداني والقاصي، فربما عبر عن أحواله حامدا لمولاه على انتقاله من قبائح أفعاله ، ومن منحه من لذيذ مناجاته واعتماده عليه في جميع حالاته سائلا منه دوام الشكر الموجب المزيد ليقتدي به كل سالك ومريد قائلا:

لك الحمد يامولاي في السر والجهر
على ما منحت العبد من سبل الخير
بفضلك من ذل المعاصي نقلتني
وسامحت عما كان في سالف الدهر
فتمم مرادي لامحبة والرضى
عسى أدرك المأمول في موقف الحشر
عليك اعتمادي في جميع مطالبي
ومالي إلا أنت في العسر واليسر
فمازلت أدعو مستزيدا من الذي
منحت من الخيرات بالحمد والشكر

وأما من ترقى عن هذا المقام ،متشبثا بأذيال من هو من مكابدة أشواقهم في سقام، فتكون إشارته لهم بما هو أعلى ، وما هو بهم في ذلك المقام أولى ، فيكون معنى قوله:

أين من يقطع الزمان بأنس
إلى آخر البيت

إشارة لرفض الخلائق ، وقطع العلاقات ، والأنس بالحبيب، والتلذذ بكلامه العجيب والتحقق بجمع الجمع بين يديه ، وألفة قلبه بكليته إليه ، حتى لا يؤثر شيئا عليه فيكون سروره بما يبرز من أحكامه أشهى إليه من تلذذ صاحب المدام ، مغتنما انتهاز فرصة الوصال، لاهيا عن كل لذة في الحال والمآل، سوى التمتع في النظر إلى كمال بهجة محيا محبوبه الذي في لقائه ورؤيته غاية سؤله ومرغوبه ، وكيف لا وقد يستحق الناظر لذة عند مشاهدته ، وينسى ما كان فيه من جميع أنواع نعيمه ولذته ، إذ اللذات العلية لا يشبهها لذات . فكيف لايشبه التلذذ بالنظر إليه شيء من اللذات ، وكما أنها لا تحيط بها الأبصار فكذلك لاينسب لهذه اللذات مقدار، ولما كانت لا تحيط بشيء من أوصافها الأفكار، ولا تلحقها الأوهام ، فكذلك لايدخل على العقل في عظيم هذه اللذة إيهام، فلما كاد أن يذهب عقله بانتظاره ، نادته هواتف المحبة من مطالع اضطراره:

لا تقنطن فإن الهم منفرج
والخير في كره نفس المرء مندرج
عهد الوصال قديم لا تخف نكد
فكل ما تشتهي تعطى وتنبهج
يعيننا كل ما لقيت من كمد
وكل ما هو في الأسرار يختلج
كأنه لم يكن فاصبر عساك ترى
ما لا يراه محبه صدره خدج
أهل الصفا بالوفا نالوا مرادهم
رضاهم برضا المحبوب ممتزج

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1075
السنة37
الجمعة 14 جمادى الأولى 1425 هـ
الموافق 02 يوليوز 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1075 الجمعة 14 جمادى الأولى 1425 هـ . الموافق 02 يوليوز 2004م

مع فضيلة الشيخ المكي الناصري في مساره العلمي والنضالي

■ بقلم المرحوم: سماحة الشيخ محمد المكي الناصري

■ تبتدئ المحطة الثانية من اليوم الذي غادرت فيه مسقط رأسي بالرباط قاصدا العاصمة المصرية، وتمتد إلى أواسط شهر دجنبر 1931 قبل انعقاد "المؤتمر الإسلامي العام" بالقدس الشريف.

ذلك أنني بعدما تلقيت مجموعة المعارف الإسلامية المتداولة بين علماء المغرب، بكتبها التقليدية المتعارفة بينهم، واستوعبتها خير استيعاب، بفضل الله وحسن توفيقه، وقمت بأول تجربة ناجحة في ميدان التدريس، بإذن من شيوخي الكرام، حيث عقدت عدة حلقات علمية لفائدة عدد غير قليل من الطلبة الشباب، في مثل سني، أو أزيد قليلا، وذلك بالزاوية الناصرية بالرباط، وكان من بين المواد التي درستها لهم بالخصوص مادة الفقه، بتحفة ابن عاصم وشروحها، ومادة النحو، بألفية ابن مالك وشروحها، دراسة تحقيق وتدقيق، على التمام والكمال، أحسست بأن زادي من العلم إن لم ألقحه بعلم جديد في الخارج سيبقى محدودا وجامدا، وأيقنت بأن ذلك الزاد المحدود لايسعفني ولايعينني على حمل العبء الوطني الثقيل، الذي أطمح في أن أحمله بكفاءة وجدارة وفعالية في مستقبل الأيام، وفاء بالعهد الذي قطعته على نفسي منذ فجر الشباب في نطاق "الرابطة المغربية" أول هيأة وطنية سرية بالمغرب كنت أول أمين عام لها، فهناك علوم ومعارف وأدوات ضرورية لولوج مثل هذا الميدان، وكان البلد الذي أحببته عن بعد، وآمنت بأنه يستجيب لرغباتي الثقافية والوطنية، والذي أصبح بلدا أليفا عندي بزعمائه وكتابه، منذ فتحت عيني على القراءة والمطالعة في أحضان عائلتي، هو مصر العزيزة والناهضة.

حينئذ أخذت أعد العدة لهذه الرحلة العلمية الوطنية التي قد تطول سنوات، وبعد لأي شديد، وتحايل على تخطي العقبات، استطاع أخي وأستاذي العلامة المصلح والأديب الكبير سيدي الحاج محمد بن اليمني الناصري أن يحصل لي على جواز السفر، حيث كان السفر من المغرب إلى الشرق محاطا بكثير من العراقيل والمثبطات، نظرا لسياسة "العزلة" المفروضة على المغرب والشباب المغربي من طرف الإدارة الفرنسية، حتى لا يصاب المغرب وشبابه "بعدوى الشرق".

أما السند المادي لهذه الرحلة فقد كان في البداية قاصرا على عائلتي وأقربائي يتقدمهم أخي وأستاذي سيدي الحاج محمد، وأصهار العائلة الناصرية، وفي طليعتهم الوطني الغيور السيد الحاج بوبكر بن أحمد بلكورة، وأخوه الوطني الغيور السيد الحاج محمد، وخالي السيد الحاج محمد بن مصطفى بلكورة، وكان والدي وأستاذي الأول سيدي اليمني الناصري قد انتقل إلى رحمة الله قبل هذا التاريخ بنحو ثلاث سنوات ودفن بالزاوية الناصرية، وبمرور الأيام انضم إلى سلك المساعدين في تكاليف هذه الرحلة بعض المحبين والمعجبين من سلا وتطوان وفاس.

رافقني أخي وأستاذي من الرباط إلى الشمال ومنه إلى جبل طارق، فزرت معه لأول مرة مدينة تطوان ومدينة طنجة، وكانت مناسبة فريدة للقاء شبابهما وأعيانهما الذين لم يسبق لي لقاؤهم، وتحديد اللقاء مع من أسعدني الحظ بلقائهم من قبل، وبينهم بالخصوص عدد من زملائي أعضاء "الرابطة المغربية" و "أنصار الحقيقة" وعندما وصلت الباخرة التي ستحملني إلى المياه المصرية، التحقت بجبل طارق وودعني أخي وأستاذي داعيا ومشجعا.

وماكدت أصل إلى القاهرة حتى عقدت العزم على زيارة الجامع الأزهر أولا، رغبة في الاطلاع والمقارنة، وسرعان ما أدركت أن ما يوجد فيه. في هذه الفترة. هو دون ماتركته بالمغرب، فقد كان الأزهر في ذلك الوقت يمر بمرحلة تراجع تحتاج إلى عناية وإصلاح.

ومن حسن الحظ أن معرفتي ببعض الشخصيات الإسلامية اللامعة الموجودة بالقاهرة كانت قد سبقتني بمناسبة صدور رسالتي "إظهار الحقيقة وعلاج الخليقة" وصدور رسالة أخي سيدي الحاج محمد "ضرب نطاق الحصار"، ووصولهما إلى تلك الشخصيات، وفي طليعة تلك الشخصيات الأستاذ محب الدين الخطيب والاستاذ السيد رشيد رضا، فقد كتب الأول عن رسالتي ورسالة أخي في مجلة (الزهراء) وكتب الثاني عنهما في مجلة (المنار) وذلك قبل قدومي إلى مصر، فما كان مني إلا أن هرعت إلى أولئك السادة مستشيرا ومستفسرا عن إمكانية الالتحاق بالمراكز العلمية الحديثة، ومن تلك الاستشارات ماشجعني على محاولة الاتصال (بالجامعة المصرية) عسى أن أحظى فيها بالقبول، وهنا يتقدم لمرافقتي أحد الشباب المصريين من أقراني من عائلة علمية كبيرة هو السيد محمود شاكر. الذي سيصبح أديبا كبيرا ومحققا شهيرا ، وعندما نصل إلى (قصر الزعفران) بالعباسية، وكان إذ ذاك هو مقر كليتي الآداب والعلوم التابعتين للجامعة المصرية، نقصد عمادة كلية الآداب، وإذا بي أفاجأ بأن عميدها هو الدكتور طه حسين، الذي كان الحديث عنه قد شغل الأدباء في كل مكان، فيستقبلني جنابه خير استقبال، ويستفسرني عن العلوم التي درستها بالمغرب، وعن صدى النهضة المصرية في بلادي، وقد كان حديثي معه بالعربية الفصحى، حيث أنني لم أكن أحسن اللهجة المصرية لقرب عهدي بالوصول إلى مصر، فأعجب الدكتور بشاب مغربي ملم بأخبار النهضة المصرية معجب بها يتكلم العربية بطلاقة وبأسلوب جذاب، وما كان من الدكتور العميد إلا أن فتح الباب في وجهي، ومنحني حق الانتساب إلى كلية الآداب، تاركا لي حرية الاختيار للالتحاق بأي شعبة من شعبها العديدة، ففارقته شاكرا وممتنا باسمي واسم بلدي المغرب، وسائلا من الله تعالى التوفيق.

قمت بزيارة لمختلف الشعب، واطلعت على مواد كل شعبة ومواقيت محاضراتها ودروسها، ووقع اختياري في الحين على شعبة الفلسفة بجميع موادها، فهي بالنسبة لي شعبة جديدة، ماعدا مادة المنطق القديم التي درستها بالمغرب، واخترت من الشعب الأخرى جملة من المواد التي تلقح وتكمل ماتلقيته في وطني من المواد العربية والإسلامية، كما اخترت بعد ذلك من بين دروس الأزهر درسا في التفسير ودرسا في الأصول وجدتهما في مستوى عال وفريد.

ونظرا لكثرة المواد الأصلية والإضافية التي وقع عليها اختياري فقد أصبحت ملزما بقضاء اليوم كله في رحاب الجامعة، أتنقل بين قاعات الدروس من مادة إلى أخرى، وعندما يحين وقت الغذاء أتناول في الحدائق المتصلة بالجامعة مايعين على مواصلة العمل، مما يجلبه الباعة المتجولون لخدمة الطلبة، وعند استيناف الدروس بعد فترة الزوال أكون حاضرا لتتبع دروس المساء، بحيث لا أفارق الجامعة أيام الدراسة إلا في آخر النهار، وعند انتهاء كل يوم دراسي وأثناء عودتي إلى غرفتي يمر أمامي شريط طويل من الأفكار والنظريات والمعلومات الجديدة والطريفة التي تلقيتها خلال اليوم كله، مما أشعر معه بسعادة غامرة، وغبطة بالغة، ويذكرني بقول السبكي في جمع الجوامع : "وحصر الشيخ الإمام اللذة في المعارف".

أما مواد الدراسة فقد كان أغلبها من إملاء الأساتذة في كل درس، وكثير من الكتب التي ظهرت في السنوات التالية لأساتذة الجامعة كانت عبارة عن مذكرات يمليها كل أستاذ على طلبته، وأحيانا يكون الإملاء ارتجالا، فيسجل الطالب ما علق بذهنه من إملاء الأساتذة وعندما يتعلق الأمر بدراسة النصوص يكون النص المقرر الدرس موضوع الشرح والتحليل، وقد احتفظت بدفاتري الجامعية في مختلف المواد، منذ عهد الدراسة إلى الآن، لما تمثله من ذكريات عزيزة وخالدة.

ومن الطرائف والمزايا التي تميزت بها كلية الآداب بالجامعة المصرية في الفترة التي كنت طالبا بها أنها كانت ملتقى لنخبة كبيرة من أساتذة الشرق والغرب، ففيها يلتقي الطالب بالأستاذ المصري والأستاذ الفرنسي والأستاذ الإيطالي والأستاذ الألماني، وفيها يتلقى الطالب دروسه من الأساتذة الشرقيين والأساتذة المستشرقين بالعربية الفصحى مباشرة، كما يتلقى الدروس بالفرنسية من الأساتذة الأجانب الذين لايعرفون العربية، وفيها يتلقى الطالب المصري وغيره من الطلاب الشرقيين بزملاء ورفقاء من مختلف البلاد العربية والشرقية، (مما سيكون له أبلغ الأثر في علاقاتهم وعلاقات بلدانهم في مستقبل الأيام).

وكما كنا نتعرف على الحياة المصرية من خلال معاشرتنا للطلبة المصريين كان زملاؤنا المصريون يتلهفون على سماع أخبار بلادنا، والتعرف على حقيقة أحوالها الخاصة والعامة، فكنا ننتهز كل فرصة للتعريف بتاريخ المغرب وحضارته ونهضته، وبما يتعرض له شعبنا من سلطات الاستعمار الطاغية.

ولم يمض وقت قصير على إقامتي بالقاهرة، ومخالطتني للطلبة المصريين والطلبة الشرقيين الوافدين عليها، حتى نضجت عندي وعند بقية الزملاء فكرة إنشاء جمعية يتلقى فيها شباب مصر بشباب البلاد الأخرى، بصورة منتظمة، ويكون المجال فيها مفتوحا لتنظيم الندوات والمحاضرات العامة، وعرضنا الفكرة على نخبة من رجال النهضة والإصلاح، الذين نستنير بتوجيهاتهم ونصائحهم، مثل الأستاذ محب الدين الخطيب والشيخ محد الخضر الحسني وأحمد تيمور باشا، وكنا نلتقي معهم بالمطبعة السلفية، حيث تطبع مجلة (الفتح) الإسلامية الشهيرة، فما كان منهم جميعا إلا مباركة هذه الفكرة، وبعد بضعة أيام كانت الوسائل كلها مهيأة لعقد اجتماع عام بإحدى دور السينما من أجل تأسيس جمعية أطلق عليها إسم "جمعية الشبان المسلمين" وانتخب لرئاستها أحد زعماء (الحزب الوطني) أول حزب سياسي أسس بمصر برئاسة مصطفى كامل، وأحد كبار النواب بالبرلمان المصري هو الدكتور عبد الحميد سعيد الذي استمر على رأسها منذ تأسيسها إلى حين وفاته، لغيرته الإسلامية، وشهامته العربية، ولم تلبث هذه الجمعية أن فتحت أبوابها بنفس الحي الذي يوجد فيه مبنى البرلمان، وشرعت في ممارسة نشاطها وتوثيق صلات التعارف والأخوة بين الشباب المصري والشباب الوافد على مصر من بقية البلاد العربية، والإسلامية، ويوجد في أول كتاب نشرته للتعريف بها وبأهدافها ضمن أسماء مؤسسها الأوائل إسم اثنين من الطلبة المغاربة هما: محمد المكي الناصري، والحسن بوعياد، وهما اللذان كانا حاضرين ومشاركين تأسيسها، ثم توالى على الالتحاق بها كل من وفد إلى مصر من الطلبة المغاربة بعد ذلك.وبعد مدة قصيرة أصبح لهذه الجمعية، مبنى كبير بني لها خصيصا يحتوي على عدة قاعات للاجتماع والمحاضرات، وممارسة أنواع الرياضة، وأصبحت لها فروع في بقية المدن المصرية وغيرها من البلاد العربية، وستلعب هذه الجمعية دورا بارزا في التعريف بقضية المغرب والدفاع عنها وستصبح منبرا مغربيا للتشهير بالاستعمار والمناداة بتحرير المغرب طيلة عهد الكفاح الوطني.